تاريخ المكتبات الإسلامية في بلاد الهند خلال فترة الحكم الإسلامي (٣٩٢-١٢٧٤هـ)

د. رضا سعيد مقبل
قسم المكتبات والمعلومات - جامعة الأزهر

تمهيد:

تُشكِّل المكتبات جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الإسلام وحضارته، فقد كان لها دورها المتميز في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين. ويمكن القول بأن الحضارة الإسلامية حضارة كتب ومكتبات، فلا حضارة بدون علم، ولا علم بدون كتب ومكتبات.

وللإسلام في بلاد الهند تاريخ حافل استمر أكثر من ثمانية قرون، أسَّس المسلمون خلالها حضارةً من أرقى الحضارات، إلا أن جُلَّ الذين كتبوا عن تاريخ المكتبات الإسلامية أغفلوا المكتبات في الهند، بسبب أن هذه البلاد بعيدة عن مركز العالم الإسلامي، بالإضافة إلى صعوبة تلك الدراسة لقلة المعلومات وتشتُّتِها في كثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالهند. ولعل ذلك يُمثِّل حافزًا للكشف عن النهضة المكتبية التي شهدتها تلك البلاد في حقبة الحكم الإسلامي.

أهمية الدراسة:

عرف المسلمون مُبكِّرًا أهمية المكتبات ودورها البارز في التقدم والرُّقي، وهو ما أدَّى إلى أن تنال عندهم عناية فائقة، لا سيما أنها من ثمرات حثِّ الإسلام على العلم ونشر المعرفة. وفي ضوء ذلك تضطلع هذه الدراسة بالكشف عن مقدار اهتمام المسلمين في الهند بالمكتبات، وما بذلوه من جهود في جمع الكتب وتكوين المكتبات، فقد تنافس

الحكام والسلاطين في إنشاء المكتبات، كما ازدهرت المكتبات الخاصة لدى العلماء، ووُجدت المكتبات الملحقة بالمدارس والمساجد، وحرَصوا على تزويد مكتباتهم بمجموعات وافرة من الكتب، وتنظيمها تنظيمًا حسنًا بما يساعد على الإفادة منها.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها اعترافًا بالدور الحضاري للهند الإسلامية، بوصفها جزءًا مهمًّا من العالم الإسلامي، وانتصافًا لها ممن يجحدون فضلها أو يجهلون مكانتها.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من جوانب الحضارة الإسلامية متمثلًا في المكتبات التي عرفتها الهند في حقبة الحكم الإسلامي، وتسعى الدراسة إلى الإسهام في سد الفجوة القائمة في الدراسات العربية حول موضوع المكتبات في الهند ضمن هذه الحقبة، كما تسعى إلى تقديم إضافة موضوعية في التأريخ للمكتبات الإسلامية؛ ويمكن إجمال أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

(١) التعرف على أنواع المكتبات التي وُجدت في الهند إبَّان الحكم الإسلامي.

(٢) التعرف على جوانب العمل والتنظيم للمكتبات في الهند الإسلامية.

(٣) إبراز الدور الحضاري للمكتبات في الهند الإسلامية.

(٤) بيان مصير المكتبات في الهند الإسلامية، وما بقي فيها من المخطوطات الإسلامية.

حدود الدراسة:

تتناول الدراسة المكتبات في الهند طَوال مدة حكم المسلمين، منذ بداية فتوحات السلطان محمود الغزنوي للهند سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وحتى نهاية الحكم الإسلامي وبداية الاحتلال البريطاني للهند عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م). وتصل هذه المدة إلى أكثر من

ثمانية قرون، وهي مدة مليئة بالمتغيرات التي انعكست بدورها على المكتبات.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، الذي يقوم على استرداد الماضي من خلال المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي أرَّخت لمدة الدراسة بما تشمله من كتب التاريخ والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات وغيرها.

وقد ارتكز عمل الباحث على استخراج الحقائق من بطون المصادر القديمة والمراجع الحديثة من خلال التوسل بأسلوب الوصف والتسجيل، وأما المواضع التي تحتاج إلى تفسير؛ فقد اعتمد فيها على أسلوب التحليل والتأويل للخروج بصورة تقريبية لما كانت عليه المكتبات في الهند الإسلامية.

الدراسات السابقة:

بالرغم من وجود الكثير من الكتب والبحوث باللغة العربية التي تناولت المكتبات في العالم الإسلامي، نجد أنها أغفلت تمامًا ذِكر المكتبات الإسلامية في الهند، فلا يوجد دراسات باللغة العربية عن المكتبات في الهند إبَّان الحكم الإسلامي، وبالنسبة للدراسات باللغات الأخرى، فقد توصَّل الباحث إلى عدد من الدراسات باللغة الإنجليزية، نعرِض لأهمها على النحو الآتي:

دراسة **(Nadvi, S. A. Zafar)**(١) التي تناولت شغف الحكام المسلمين بجمع الكتب وتكوين المكتبات، ومع اعتماد هذه الدراسة على المصادر الإنجليزية تحديدًا، فإنها لم تأتِ على ذِكر الكثير من المكتبات، مثل: المكتبات العامة، والمكتبات المُلحقة بالمدارس والمساجد.

دراسة **(Datta, Bimal Kumar)**(٢)، وهي عبارة عن سرد تاريخي لتطور المكتبات في الهند في خلال العصور القديمة والوسطى، وقد ركَّزت في عرضها على المكتبات

الملكية لحكام المغول، لكنها أغفلت جوانب الإدارة والتنظيم في هذه المكتبات.

ومن خلال العرض السابق، يتضح أنَّ ما كُتب عن موضوع الدراسة باللغة الإنجليزية شيء يسير، وأنَّ مَن تعرَّضوا لهذا الموضوع لم يُوفوه حقه، ولم يتناولوا كل جوانبه، ولعل ذلك يعود إلى الاعتماد على عدد قليل من المصادر. وتبعًا لذلك تُعَدُّ الدراسة الحالية من الدراسات الرائدة في هذا المجال باللغة العربية، بجانب أنها تمتاز بشمول التغطية، فقد تناولت المكتبات في الهند إبَّان الحكم الإسلامي وجوانبها المختلفة اعتمادًا على المصادر والمراجع المتعلقة بالهند، سواء أكانت عربية أم كانت غير عربية.

والحقيقة أن ما ذُكر عن المكتبات في الهند الإسلامية جاء عَرَضًا، في سياق الحديث عن غيرها، كما أن المعلومات المتصلة بها مشتَّتة في بطون المصادر والمراجع، مما فرض على الباحث البحث والتنقيب في جميع المصادر المتعلقة بالهند ضمن مجالات التاريخ والجغرافيا والأدب، وغيرها من المصادر الأولية والمراجع الحديثة باللغتين العربية والإنجليزية

أولًا: لمحة جغرافية وتاريخية عن الهند:

اختلف المؤرخون في أصل تسمية الهند، فهناك من ينسبها إلى «أندرا» إله الهند القديم، ومنهم من ردَّها إلى أحد أشهر أنهارها وهو نهر السند المعروف باسم «هندهو»، أي النهر، جريًا على عادتهم في إبدال السين هاءً، وأصبح سكان هذا الإقليم يُسمَّون الهندوس أو الهنود، وأصبحت بلادهم تعرف بالهندستان (أرض الأنهار)(٣).

تقع بلاد الهند في جنوب آسيا، وهي تلك البلاد الشاسعة التي يحدُّها من الشمال سلسلة جبال الهملايا، ومن الغرب جبال هندكوش وسليمان، حيث تقع أفغانستان وإيران، ثم تمتد الهند إلى الجنوب في شبه جزيرة يقع بحر العرب في غربها، وخليج البنغال في شرقها، وسيلان في طَرَفها الجنوبي، ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال آسام(٤). وتضم هذه البلاد جزأين جغرافيين؛ الجزء الأكبر يسمى بلاد الهند، والجزء

الأصغر يسمى بلاد السند والبنجاب، ونظرًا لاتساع هذه البلاد فإنه يُطلَق عليها مسمى «شبه القارة الهندية».

وهكذا، فإن هذه البلاد تقع في أقصى الشرق الإسلامي، وتحتل مركزًا متوسطًا بين الشرق الأوسط والشرق الأقصى، كما أن مياه المحيط الهندي تُسهِّل اتصالها بقارة إفريقيا ومنها بأوروبا، وهكذا بالعالم كله. وتتمتع هذه البقعة من العالم بمعالم جغرافية كثيرة ومتنوعة، مثل الأنهار الجليدية، والغابات المطيرة، والصحاري، والوديان، والمراعي. ومن أجل هذا يعدُّها المسعودي أحد الأقاليم السبعة العظيمة على سطح الأرض(٥).

وبلاد الهند في التاريخ الإسلامي يُقصَد بها شبه القارة الهندية، ولا تقتصر على دولة الهند الحالية فقط، ولكنها تشمل عدة دول، هي: الهند وباكستان وأفغانستان وبنجلادش، إضافةً إلى ما يتبعها من جُزُر. وهي بلاد شاسعة متعددة التضاريس والمناخات والأديان واللغات والثقافات والأجناس، وبالرغم من ذلك استطاع المسلمون صَهْرَ كل هذا في بوتقة واحدة، وأقاموا حضارة إسلامية هندية متميزة امتدت لأكثر من ثمانية قرون.

الهند عبر العصور الإسلامية:

كان للعرب علاقات تجارية قديمة مع بلاد الهند، وبعد ظهور الإسلام كان فتح الهند حلمًا يراود خلفاء المسلمين وحكامهم، ففي عصر الدولة الأموية تمت أولى الحملات الناجحة في الهند بقيادة محمد بن القاسم سنة (٩٢هـ/ ٧١١م)، الذي استطاع من خلالها أن يفتح بلاد السند (باكستان حاليًّا)، ويقيم للإسلام دولة في شمال الهند تابعةً للخلافة الأموية، وعن طريقها انتشر الإسلام رويدًا رويدًا في المناطق الهندية المجاورة(٦)، ثم توالت الفتوحات الإسلامية، وكان أعظمها ما تم في عهد السلطان محمود الغزنوي، إذ استطاع تأسيس دولة إسلامية في الهند ظلَّت لأكثر من ثمانية قرون(٧)، توالت خلالها على الهند عدة دول إسلامية متعاقبة على النحو الآتي:

الدولة الغزنوية (٣٦٧هـ/٩٧٧م - ٥٤٣هـ/١١٤٨م):

كانت أولى هذه الدول الدولة الغزنوية نسبةً إلى مدينة غزنة، التي اتخذها الغزنويون عاصمةً لدولتهم، واستمرَّت قرابة قرنين من الزمان. أما مؤسسها فهو القائد سبكتكين أحد من ثبتوا ملك دولته، واستطاع السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي السيطرة على إقليم البنجاب وكشمير ودهلي ومعظم الأجزاء الشمالية من الهند، وأن يؤسس حكمًا إسلاميًّا في الهند[٨]، ولم يستطع الأمراء الذين خَلَفوه أن يحافظوا على الدولة بعد وفاته، لتسقط بيد الدولة الغورية.

الدولة الغورية (٥٤٣هـ/١١٤٨م - ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م):

أقام الغوريون دولة إسلامية في الهند، وخاض السلطان شهاب الدين محمد الغوري الكثير من المعارك، واستطاع السيطرة على شمال الهند كلها، وأصبحت دهلي عاصمة الدولة، وبعد وفاة السلطان شهاب الدين اضطربت الدولة اضطرابًا شديدًا، وتنافس الأمراء على العرش، وحدثت حروب أنهكت قوى الدولة الغورية حتى زالت[٩]، وورِثتها دولة المماليك.

الدولة المملوكية (٦٠٢هـ/١٢٠٦م - ٦٨٩هـ/١٢٩٠م):

بدأت الدولة المملوكية في الهند عندما استطاع أحد قادة المماليك «قطب الدين أيبك» السيطرة على دهلي، إذ نصَب نفسه سلطانًا على الهندستان عام (٦٠٢هـ/١٢٠٦م) عقِب وفاة مولاه محمد الغوري الذي نَعِم الناس في عهده بالعدل والمساواة والأمن. وفي سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م) اجتاح الخَلْجيون «دهلي»، وسيطروا عليها[١٠]، وانتهت دولة المماليك، وبدأت الدولة الخَلْجية.

الدولة الخلجية (٦٨٩هـ/١٢٩٠م - ٧٢٠هـ/١٣٢١م):

سيطرت الدولة الخلجية على الهند، وكان أول ملوكها جلال الدين فيروز شاه الذي

أقام أركان دولة قوية. واستطاع ابن أخيه علاء الدين «الإسكندر الثاني» القضاء على المغول، وبعد وفاته اختلَّ أمر الدولة، ووقعت تحت سيطرة الدولة التغلقية[11].

الدولة التغلقية (٧٢٠هـ/١٣٢١م - ٨١٦هـ/١٤١٤م):

أسس هذه الدولة السلطان «غياث الدين تغلق»، وقوَّى أركان الدولة، وكان آخرَ الملوك الأقوياء لهذه الدولة السلطان «فيروز تغلق»، وبوفاته ضعُفت الدولة وسقطت على يد تيمورلنك، وسادت الفوضى والاضطراب في البلاد[12]، وتم تقاسمها لتصبح عدة دويلات.

دويلات ملوك الطوائف (٨١٧هـ/١٤١٤م - ٩٣٢هـ/١٥٢٦م):

مع سقوط الدولة التغلقية وقعت الهند في اضطرابات كثيرة، ولم تعد موحَّدةً تحت سلطان واحد، وانقسمت إلى عدة إمارات مستقلة بذاتها حكمتْها عدة أُسَر، لعل أهمها أسرة السادة بـ«دهلي» التي أسَّسها «خضر خان» أحد رجال تيمورلنك سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)، وانفردت بالسلطة حتى عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م)، ثم تلتها الأسرة اللودية التي أسسها «بهلول لودي الأفغاني» بعدما عزل آخر سلاطين أسرة الأسياد السلطان «عالم شاه»، وحكمت «دهلي» حتى عام (٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)[13].

الدولة المغولية (٩٣٢هـ/١٥٢٦م - ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م):

تُعَدُّ الدولة المغولية التي أسَّسها «ظهير الدين محمد بابر» عام (٩٣٢هـ/١٥٢٦م) المملكةَ الأخيرة للمسلمين في الهند، وقد دام سلطانها نحو ثلاثة قرون، وفيها أصبحت الهند وحدة سياسية واحدة مترابطة بعدما أنهت معظم الدويلات والإمارات المتفرقة، وبلغت دولة المسلمين في الهند أقصى اتساعها وقمة مجدها[14]. وكان آخر سلاطين المغول «بهادر شاه الثاني» الذي تولى الحكم عام (١٢٥٤هـ/١٨٣٨م). وفي عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) تمكَّن الإنجليز من السيطرة على البلاد وإنهاء الحكم الإسلامي[15]، وأصبحت الهند مستعمَرة بريطانية.

ثانيًا: الحركة العلمية في الهند الإسلامية:

تُشكِّل الحركة العلمية وما صاحبها من ازدهار حركةِ التأليف والترجمة أهمَّ عوامل وجود المكتبات وظهور حرفة الوِراقة والنسخ، ولقد شهدت الهند الإسلامية نهضةً علمية لم تتوقف حتى في أظلم عصوره السياسية، ويعود الفضل في ذلك إلى تشجيع الحكام والملوك للعلماء، إذ أغدقوا عليهم العطايا والهبات، مما كان له أكبر الأثر في إقبال العلماء على الدرس والتحصيل والتأليف، فبرز الكثير من العلماء الذين كان لهم تأثير واضح في مختلِف العلوم والمجالات، ونشطت الحركة العلمية في كلٍّ من: عزنة، ولاهور، ودهلي، والدبيل، والمنصورة، والملتان، وغيرها من المدن الهندية، وأقبل المسلمون من الهنود على قراءة الكتب الإسلامية، وأهملوا الكتب الهندوسية والبوذية، وحلَّت الكتب الإسلامية محل الكتب الهندية[١٦].

وفي العصر الغزنوي أصبحت مدينة لاهور مركزًا علميًّا وثقافيًّا مهمًّا، فكثُرت فيها الكتب والمكتبات، حتى إذا أراد فخر الدين مبارك شاه أن يؤلف كتابه «بحر الأنساب»، وجد في هذه المدينة وحدها ألفَ كتابٍ في موضوعه[١٧]، وكان السلطان محمود الغزنوي محبًّا للعلم والعلماء. يقول عنه ابن الأثير: «كان عاقلًا خيِّرًا عنده علم ومعرفة، وصُنِّف له كثيرٌ من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يكرمهم ويعظمهم ويحسن إليهم»[١٨].

وكان السلطان «شاهجهان» محبًّا للعلم مشجِّعًا على التأليف، ويذكر المؤرخون أن العلامة عبد الحكيم السيالسكوتي ألَّف بأمرِه كتبًا كثيرة، وكان يعطيه في العام مئة ألف روبية[١٩]، ومثله كان السلطان «عالمكير»، عالمًا محبًّا للعلم والعلماء، فكثرت المدارس في عهده، وأجرى الأرزاق على العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراستهم، وأنشأ المساجد ورتَّب الأرزاق للقائمين بها[٢٠].

كما اهتم ملوك الهند وسلاطينها بحركة الترجمة، ومنهم السلطان «فيروز شاه تغلق»، فقد ثبت أنه لما ذهب إلى قلعة «نكركوت» حاصرها وفتحها ...ووجد فيها مكتبة هندوسية

تضم ألفًا وثلاثَمئة كتابٍ في مختلِف العلوم، فأمر أن تُترجَم الكتب الثمينة فيها من السنسكريتية للفارسية، فتُرجمت عدة كتب في الرياضة والنجوم والأدب والموسيقى(٢١).

الوِراقة والورّاقون في الهند:

من المسلَّمات التاريخية أن صناعة الورق ظهرت أول أمرها في بلاد الصين، فقد كان الحرير يُستخدم في صناعة الورق، ثم أخذها العرب المسلمون عن الصينيين وطوَّروها، فاستخدموا القطن بدلًا من الحرير في صناعة الورق(٢٢). وذكر المؤرخون أن المسلمين هم الذين أحضروا الورق إلى الهند(٢٣)، وهكذا تأخَّر استعمال الورق في الهند إلى ما بعد وصول المسلمين واستقرار حكمهم، وذلك في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). وأصبح الورق المادة المفضَّلة للكتابة في شمال الهند والمناطق التي سيطر عليها المسلمون(٢٤). وانتشرت مصانع الورق في أنحاءٍ متعددة من البلاد، ومنها مصنع «كالبي» في الهند أيام سلطنة دهلي، ومصنع آخر في كشمير الذي أنتج ورقًا حَسَن الجودة، وكان أكبر تلك المصانع في مدينة «سيالكوت»، وهذا مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية في بلاد الهند(٢٥).

وساعد ظهور الورق وانتشاره في الهند بعد قدوم المسلمين على ازدهار حرفة الوِراقة، وظهور طبقة الورَّاقين، وهذا مما كان له أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية وكثرة المكتبات. ويُعرِّف ابن خَلدون الوِراقة بأنها: «انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختُصَّت بالأمصار العظيمة العمران»(٢٦). وهكذا فإن الوراقة تقوم على ثلاثة أمور: النسخ، والتجليد والزخرفة، وبيع الكتب وأدوات الكتابة.

كما ساهم توفر الورق مساهمة فعَّالة في نموِّ العلوم والثقافة في الهند، إذ وُجدت أسواق الكتب بكثرة؛ ويدل على ذلك ما جاء عن الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن محمد الشيخ الشافعي الهندي (ت٧١٥هـ/١٣١٥م) أحد مشاهير العلماء، وكان يعمل بالوِراقة مع رداءة خطه: «وكان رجلًا ظريفًا ساذجًا، فيُحكى أنه قال: وجدت في سوق الكتب مرة

كتابًا بخط ظننته أقبح من خطي، فغاليتُ في ثمنه واشتريته لأحتجَّ به على من يدَّعي أن خطي أقبح الخطوط، فلما عدتُ إلى بيتي وجدته بخطي القديم»[٢٧].

وقد اشتغل بالنسخ والوراقة علماء أجلاء كانت هذه الحرفة مصدر رزقهم ومعيشتهم، وكان على رأس هؤلاء العلامة محمد سعيد الحنفي التركستاني (ت٩٧٠هـ/١٥٦٣م)، وكان وحيدَ دهرِه في المنطق والحكمة. تولَّى القضاء بمدينة لاهور، وكان يستنسخ الكتب ويُصحِّحها ثم يعطيها طلبة العلم، ويبذل أموالًا طائلة في ذلك[٢٨]. وأيضًا كان هناك الشيخ محمد معين اللاهوري (ت ٩٩٥هـ/١٥٨٧م) أحد الفقهاء المشهورين في عصره، وكان يستنسخ الكتب ويُصحِّحها ثم يعطيها طلبة العلم، ويبذل أموالًا طائلةً في ذلك[٢٩]. ومن العلماء الأجلَّاء الذين اشتغلوا بهذه الحرفة الشيخ يحيى بن أبي الفيض الأحراري السمرقندي (ت٩٩٩هـ/١٥٩٠م) أحد المشهورين في الصناعة الطبية، ولم يكن له نظير في زمانه في الخط، وقد عُرف عنه أنه يكتب بسبعة أقلام بغاية الجودة[٣٠]. وهناك الشيخ نظام الدين البرهانبوري (ت١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)، أحد رجال العلم والمعرفة، وكان يشتغل بالكتابة ثم يبيع النُّسَخ المكتوبة ويصرفها في عرس شيخه كل سنة[٣١]، والشيخ محمد حسين الكشميري (ت١٠٢٠هـ/١٦١١م) الخطاط المشهور، له يد بيضاء في التعليق، إذ كان يكتبه في غاية الجودة والحلاوة، وقد اتفق الناس على أنه كان معدومَ النظير في الهند في جودة الخط[٣٢]. كما عمل بالوِراقة الشيخ الفاضل عبد الرشيد الديلمي (ت١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) الخطاط المشهور الذي لم يكن في زمانه مثله في الخط[٣٣]، والعلامة نصير الدين البرهانبوري (ت١١١٩هـ/١٧٠٧م) أحد العلماء الربانيين الذين كانوا يكتبون القرآن وكتب التفسير والسلوك فيسترزق بها، وكانت قدماه ويده اليسرى مشلولة[٣٤]. والشيخ مرتضى بن أحمد السندي (ت١١٢٦هـ/١٧١٤م) أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، وُلد ونشأ بأرض السند، وجمع العلم والعمل وحُسن الخط، وكان يكتب على سبعة أنواع من الكتابة[٣٥]. والشيخ نصير الدين البالوي (ت١١٧٢هـ/١٧٥٩م) أحد العلماء

المبرِّزين في الشعر والخط، كان يكتب على سبعة أقلام[٣٦].

وكانت مهنة الوراقة تنتقل من الآباء إلى الأبناء والأقارب، فهذا هو الشيخ عبد الله الحسيني الترمذي (ت١٠٣٥هـ/١٦٢٦م) الخطاط المشهور، كان يكتب التعليق في غاية الجودة والحلاوة[٣٧]، وابنه محمد صالح بن عبد الله الحسيني الترمذي (ت١٠٤٠هـ/١٦٣٠م)، كان من العلماء المبرزين، أخذ عن والده، وبرع في الخط والإنشاء[٣٨]، والشيخ محمد شريف الترمذي (ت١٠٥٤هـ/١٦٤٤م)، وهو ابن أخت عبد الله الخطاط المشهور، لقبه جهانكير بكاتب سلطاني، وكان يكتب النستعليق في غاية الجودة، وكان يسترزق بعمل يده[٣٩].

كما عمل بنسخ الكتب كثيرٌ من الملوك والأمراء، وكانوا يمتازون بجودة خطهم، ومنهم: الملك إبراهيم بن مسعود الغزنوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، وكان جيد الخط يكتب بخطه كل سنة مصحفًا، ويبعثه مع الصدقات إلى مكة[٤٠]. أما السلطان ناصر الدين محمود بن الإيلتمش (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م)، فقد «كانت له عناية عظيمة بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، ومن أخباره أنه كان يكتب القرآن الكريم: نسختين منه كل سنة، فيبيعهما ويقتات بثمنهما»[٤١]، وهذا الأمر مع ما يدل عليه من زهد السلطان، يدل على أن نَسْخ الكتب كان من الأعمال المُربحة، فكتابة نسختين من القرآن الكريم تكفي نفقاته مدة سنة كاملة. وكان الملك يوسف عادل شاه البيجابوري (ت٩١٦هـ/١٥١٠م) جيد الخط يكتب النستعليق بالجودة والحلاوة، كان حَسَن الشكل محبًّا لأهل العلم محسنًا إليهم[٤٢]. وكذا السلطان مظفر بن محمود الكجراتي (ت٩٣٢هـ/١٥٢٦م) صاحب الرياستين، فقد كان خطاطًا جيد الخط، يكتب النسخ والثلث والرقاع بكمال الجودة، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده، ثم يبعثه إلى الحرمين الشريفين، ومن مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب كتبهما بقلم الثلث المحرر بماء الذهب، وإمام الحنيفة مخصوص بالقراءة فيهما، وربعتان أيضًا بخطه كذلك، وللمصحفين والربعتين وقف مخصوص

يُجهَّز كل عام إلى الحرمين الشريفين[٤٣]. والأمير عزيز الدين بن شمس الدين محمد الدهلوي (ت١٠٣٣هـ/١٦٢٤م)، وكان أميرًا كريمًا، حادَّ الذهن فصيحَ المنطق، منفردًا في معرفة التاريخ والإنشاء والخط، كان يكتب النستعليق في كمال الجودة، وأخذ الخط عن الأمير باقر بن مير علي الخطاط[٤٤]. وكان السلطان ظهير الدين محمد بابر خطاطًا ماهرًا اخترع خطًّا أسمَوه بالخط البابري، وقد كتب بذلك الخط القرآن الكريم وبعث به إلى مكة المكرمة[٤٥]. والسلطان عالمكير بن شاهجهان (ت١١١٨هـ/١٧٠٧م)، كان بارعًا في الخط، يكتب النسخ والنستعليق والشكسته بغاية الجودة والحلاوة، كتب مصحفًا بيده قبل جلوسه على السرير (أي: تولِّيه الحكم)، وبعثه إلى مكة المباركة، وبعد جلوسه كتب مصحفًا آخر، وأنفق على التذهيب والتجليد سبعة آلاف روبية، ثم بعثها إلى المدينة المنورة، وكان انتسخ الألفية لابن مالك في صباه، فأرسل إلى مكة بيد الحاج عبد الرحمن المفتي لينتفع بها الناس[٤٦].

ولم يقتصر العمل بالوِراقة على الرجال، فقد اشتغل بالوراقة طائفةٌ من النساء، منهن الأميرة زيب النساء بنت السلطان عالمكير (ت١١١٣هـ/١٧٠١م)، فقد درست العربية والفارسية، وكانت خطَّاطة ماهرة[٤٧]، وتعلَّمَت الكتابة من نسخ وتعليق وغيرها، فأحرزت الكتب النفيسة في خِزانتها، واجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد[٤٨].

وفي عصر الدولة المغولية في الهند تطورت الوراقة والنسخ تطورًا كبيرًا، فأصبحت على درجة عالية من الإتقان وحسن الخط، ولعل ما يعكس هذا التطور أن الامبراطور جلال الدين أكبر عندما أتى البرتغاليون بالمطبعة عام (٩٦٣هـ/١٥٥٦م)، وقدَّموا إليه مطبوعاتهم لم يكترث لها، وفضَّل عليها الكتب المخطوطة، وبسبب عدم اكتراث السلطان، قرَّر الوفد البرتغالي عدم إنشاء المطبعة في العاصمة، وركزوا بعد ذلك على النشاطات المطبعية في جنوب الهند[٤٩].

ثالثًا: المكتبات في الهند الإسلامية: النشأة والأنواع:

تُعَدُّ المكتبات من أهم دعائم الحضارة، فهي تقوم على حفظ سجلات المعرفة وصيانتها وتنظيمها وإتاحتها للجميع، ولقد عرفت الهند المكتبات خلال عصورها المختلفة، إذ وجدت فيها حضارات متعاقبة بلغت من الرُّقي درجة عالية.

المكتبات في الهند قبل الفتح الإسلامي:

عرفت الهند القديمة المكتبات، ولكنها كانت قليلة محدودة الدور، فقد اقتصرت على مجموعات من الكتب في معابد الديانات المختلفة، ثم في قصور الحكام، وهذه المكتبات كانت متواضعة، سواء من حيث عدد الكتب أو من حيث موضوعاتها، مما يدل على أن تأثير هذه المكتبات ظل محدودًا جدًّا، سواء في تطوير المعرفة والأدب، أو على المجتمع عمومًا[٥٠]. ويرجع هذا الأمر إلى أن الكلمة المكتوبة في الهند القديمة لم تكن تتمتع بذلك القدر من الاعتبار مقارنة بالكثير من حضارات العالم القديم في أوربا وآسيا وأفريقيا الشمالية، وكانت الطريقة الرئيسة عندهم لانتقال النصوص الدينية والأدبية والعلمية من جيل إلى آخر هي المشافهة[٥١]، ولذلك كثيرًا ما توصف الحضارة الهندية بأنها حضارة شَفَهية.

أنواع المكتبات في الهند الإسلامية:

أقام المسلمون في الهند حضارةً شامخة ارتكزت على مجموعة من الدعائم؛ منها تقدير العلم والاهتمام بدور العلم ومؤسساته، بما في ذلك المكتبات بوصفها مؤسسات حضارية انتشرت في طول البلاد وعرضها، فقد اهتم مسلمو الهند -وعلى رأسهم الملوك والحكام- بجمع الكتب وتكوين المكتبات والعناية بها، وقد مات «همايون» على إثر سقوطه على السُّلَّم وهو نازل من مكتبته التي كان يحب أن يقضي فيها كثيرًا من وقته كلما خلا من مشاغل الحروب وتنظيم الدولة[٥٢]، وحذا العلماء والأعيان حَذْوَ ملوكهم، وأقبلوا على اقتناء الكتب، فأصبح كل بيت من بيوتهم عامرًا بالكتب، كما اهتم المسلمون

في الهند بإنشاء المكتبات العامة والمكتبات الملحَقة بالمساجد والمدارس.

(١) المكتبات الملكية:

من أعظم المكتبات في الإسلام تلك التي يقيمها الحكام والأمراء لأنفسهم، وقد كانت تزدهر حيث ومتى وُجد حاكم محب للعلوم والآداب ويعشق الكتب، وكان يُباح دخول بعض هذه المكتبات للناس، وكان بعضها الآخر محرمًا على الناس مقصورًا على استعمال الخليفة وحاشيته[٥٣]. وكان أغلب ملوك الهند وسلاطينها لديهم مكتبات في قصورهم، ومن أشهرها:

مكتبة السلطان محمود الغزنوي: استطاع السلطان محمود الغزنوي في خلال تولِّيه الحكم (٣٨٨-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م) تثبيت أركان دولته، وشيَّد في عاصمة مُلكه مدينة غزنة العديد من المباني العامة، ومنها مكتبة ومتحف، وكان سخيًّا في هباته لِهَمًّا[٥٤]، ويُذكر أنه لما فتح بلاد الري (طهران حاليًّا) سنة (٤٠٩هـ/١٠١٩م) كان صاحبها فخر الدولة بن بويه مشغولاً عن أمور بلده بقراءة الكتب ونسخها، وكانت عنده مكتبة ضخمة تحتوي على كافة فروع المعرفة، فلما تمكَّن السلطان من فتح البلاد نفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم، ونقل من الكتب ما يساوي مئة حِمْل جمل إلى خزانة مكتبته، وقد ألحق بهذه المدرسة جامعًا كبيرًا[٥٥].

مكتبة السلطان بهرام شاه الغزنوي: السلطان معز الدولة بهرام شاه الغزنوي تولَّى الحكم سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) مدة خمسة وثلاثين عامًا، حتى توفى عام (٥٤٧هـ/١١٥٢م)، واستطاع تكوين مكتبة، ومما يُذكر عنه أنه «كان محبًّا للعلماء، مُكرِمًا لهم، باذلاً لهم الأموال الكثيرة، وجامعًا للكتب تُقرأ بين يديه ويفهم مضمونها»[٥٦].

مكتبة السلطان جلال الدين فيروز شاه: السلطان جلال الدين فيروز شاه الخَلْجي مؤسس الدولة الخلجية سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، كان شاعرًا محبًّا للعلم والعلماء. أسس المكتبة الملكية، وذكر المؤرخ سراج عفيف في تاريخ فيروز شاهي عند وصفه لعصر

السلطان فيروز شاه: أن المكتبة كانت من الدوائر والأقسام الهامَّة في مملكته، وكان رئيس المكتبة يُعرف بلقب كتاب دار أو مصحف دار (محافظ كتب)[٥٧]. وقد تولى رئاسة المكتبة الشاعر المشهور أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، وحَظِيَ لدي السلطان بمكانة عالية لدرجة أنه منحه شرف ارتداء الزي الأبيض الذي كان يرتديه الأمراء والنبلاء فقط[٥٨].

مكتبة الملك بابر: الملك ظهير الدين بابر مؤسس دولة المغول في الهند عام (٩٣٢هـ/١٥٢٦م)، كان –على انشغاله بتثبيت أركان دولته– واسعَ الاطِّلاع، وقد تمكَّن من تكوين مكتبة قيِّمة جعل عليها قيِّمًا يُدعى عبد الله كتابدار، وقد ضم إليها كذلك قسمًا من مكتبة غازي خان اللودهي حين استولى على حصنه بالبنجاب سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٧م)، وبعث بالقسم الآخر إلى ابنه همايون[٥٩]. يقول الملك بابر في مذكراته: «بعد الاستيلاء على قلعة ملوت، توجهت إلى مكتبة غازي خان، وأخرجت عددًا من الكتب القيِّمة، فأعطيت همايون بعضًا منها، وأرسلت عددًا آخر إلى كامران»[٦٠]. ويبدو أن الكتب كانت كثيرة جدًّا مما جعله يعطي منها لابنَيه.

وهكذا يتضح أن مكتبة بابر تكونت مما استطاع «بابر» نفسه جمعه ونسخه من الكتب، فقد كان خطاطًا ماهرًا يجيد النسخ، كما أنه أضاف إلى هذه المكتبة ما غنِمه من مكتبة الأسرة اللودهية، وهذا يدل على تحضُّر بابر، إذ إنه لم يتخلَّص من آثار الأسرة التي أقام مُلكَه على أنقاضها، فهناك فرق كبير بينه وبين أجداده الذين عبروا الفرات على مكتبة بغداد فأضاعوا تراثها وحضارتها!

وكان بابر شغوفًا بالكتابة ونَسْخ الكتب لا ينقطع عنها، حتى إنه كان يكتب في خيمته أثناء القتال والفتوحات، فيذكر في مذكراته: «وهبَّت عاصفة عاتية، ولم يبقَ في الخيمة شيء إلا واقتُلع من مكانه، وكنت أكتب داخل الخيمة، ولم يتَّسع الوقت لأجمع أوراقي وكتبي، وانهار السقف وتمزَّقَت نافذة الخيمة، وغرقت الكتب، وقمنا بلفِّها في بِساط

ووضعِها أسفل الأريكة، ولما سكن المطر أقاموا لي خيمةً للنوم، وانشغلت حتى الصباح بدون نوم في تجفيف الأوراق والكتب»[٦١]. ويبدو أن المكتبة كان فيها مكان متسع لأداء الصلوات، فيقول بابر في مذكراته عندما كان مريضًا: «وقد صليت الظهر بعد وقته قضاءً في مكتبتي»[٦٢].

مكتبة الإمبراطور همايون: الإمبراطور همايون هو ابن الملك بابر، وقد تولَّى الحكم سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م)، وكان محبًّا للعلم ومصاحبة العلماء، شغوفًا بمطالعة الكتب، فقد جمع في مكتبته الملكية عددًا ضخمًا من الكتب، وكان يحب الاطلاع على أفضل المؤلفات في عصره، حتى إنه كان يصحب معه عند خروجه للقتال نخبة مختارة من الكتب لاستعماله الخاص خلال استراحة المحارب، وعلى الرغم من انشغاله الدائم بالقتال، فقد كان يخصص جزءًا من وقته للقراءة والمطالعة[٦٣].

ومن الحوادث العجيبة التي ذكرها المؤرخون قُبيل وفاته أنه كان في المكتبة، وفي أثناء نزوله سمع الأذان، فجلس على السُّلَّم يدعو ويردد الأذان، ثم قام متكئًا على عصاه، فزلق على السلم وهوى على الأرض مغشيًّا عليه[٦٤]، وصارت هذه الحادثة تاريخًا لوفاته.

مكتبة الإمبراطور جلال الدين أكبر: جلال الدين أكبر حكم الهند حوالي خمسين عامًا (٩٦٣هـ/١٥٥٦م-١٠١٤هـ/١٦٠٥م)، وعلى الرغم من أنه ينحدر من أسرةٍ امتازت بالثقافة، فإن اضطراب حياة أبيه أدَّى إلى حرمانه من التعليم في الصِّغَر، فشبَّ ولم يكن يُحسن القراءة والكتابة، ومع ذلك فقد كان قويَّ الملاحظة شغوفًا بالعلم والمعرفة، فتعلم عن طريق التلقين مكتفيًا بالاصغاء والتأمل، وكانت ذاكرته قوية تستوعب كل ما كان يُقرأ في حضرته من الكتب[٦٥].

ومن مآثر الإمبراطور «أكبر»: إنشاء مكتبة ضخمة في مدينة أجرا[٦٦]، وهي تتألف من المكتبة التي ورِثها عن أبيه بجانب المخطوطات النادرة التي جمعها ودبجها له نساخون ومصورون بارعون، بالإضافة إلى الكتب التي غَنِمها من فتوحاته من مكتبات جوجرات

وجونبور وبيهار وكشمير والبنغال وديكان[٦٧]. وهكذا استطاع تكوين مكتبة ضخمة احتوت على حوالي أربعة وعشرين ألف مجلد في شتى المعارف والعلوم، وقُدِّرت قيمتها المادية بحوالي سبعة ملايين من الروبيات الهندية، أو ما يعادل سَبعمئة وعشرين ألف جنيه إسترليني[٦٨].

مكتبة الإمبراطور جهانكير: الإمبراطور جهانكير ابن السلطان جلال الدين أكبر، تولى الحكم سنة (١٠١٤هـ/١٦٠٥م)، وكانت لديه مكتبة في قصره بأجرا، وكان مقرها في الجهة الشمالية الشرقية من القصر، وهي تضم المكتبة والمرسم[٦٩]، فقد كان المرسم ملحقًا بالمكتبة، وعمل على توسعته وزاد عدد النسَّاخ والرسامين العاملين فيه، ووفر لهم كل ما يحتاجون إليه في عملهم من مواد وأدوات للقيام بتزيين المخطوطات بالرسومات والزخارف.

مكتبة الأمير داراشكوه: وهو الابن الأكبر للملك شاهجهان، تولَّى الحكم سنة (١٠٣٧هـ/١٦٢٨م)، وكان عالمًا وأميرًا واسعَ الاطِّلاع والمعرفة محبًّا للكتب، وقد ترك خلفه مكتبة ضخمة ظلَّت آثارها باقية مدة طويلة، ولم يزل موقعها موجودًا إلى الآن[٧٠].

مكتبة سليمة سلطان بيكم: لم يقتصر تكوين المكتبات على الملوك، بل إن بعض الأميرات كان لديهن مكتبات خاصة، ومنها مكتبة سليمة سلطان زوجة الإمبراطور جلال الدين أكبر (ت١٠٢١هـ/١٦١٢م)، وقد كانت هذه الأميرة تتقن اللغة الفارسية، وكانت بارعةً في الأدب، مغرمة بجمع الكتب، مما جعلها تؤسس مكتبة خاصة بها[٧١].

مكتبة زيب النساء: الأميرة زيب النساء بنت السلطان عالمكير (ت١١١٣هـ/١٧٠١م)، كانت مكتبتها الشخصية من أعظم المكتبات في البلاد، فقد كانت مهتمة بالعلم والأدب والشعر، وجمعت مكتبتُها العديدَ من الكتب النادرة[٧٢]، وتعلَّمَت الكتابة من نسخ وتعليق وشفيعة (رقعة) وغيرها، وأحرزت الكتب النفيسة في خزانتها، واجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد[٧٣].

وذكرت كتب التاريخ أن زيب النساء درست العربية والفارسية، وكانت خطاطة ماهرة، يحضُر العلماء مجلسها. وقد أنشأت مكتبة كبيرة جمعت فيها كثيرًا من الكتب المتعلقة بالعلوم والآداب المختلفة، وكانت تُمضي معظم أوقاتها في هذه المكتبة[٧٤].

(٢) المكتبات الخاصة:

هي تلك المكتبات التي يُكوِّنها الأفراد بجهودهم وأموالهم، وَفقًا لميولهم الثقافية، وقد تكون آلَتْ إليهم عن طريق الوراثة. وقد وُجدت في الهند بكثرة، إذ حرَص العلماء على اقتناء مجموعات من الكتب تعينهم على المطالعة والتأليف؛ ومما أمدتنا به كتب التاريخ والتراجم من هذه المكتبات:

مكتبة أحمد بن محمد المنصوري: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصوري السندي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) قاضي المنصورة[٧٥]،كان لدية مكتبة استفاد منها طلاب العلم، كما استفاد منها القاضي نفسه فيما ألَّف من كتب وألقى من دروس[٧٦].

مكتبة الوزير داود: هو وزير السلطان إسكندر شاه الأول بن تغلق (عاش في القرن الثامن الهجري)،كان شديد الوَلَع بجمع الكتب، فقد خصَّص مبالغ وافرة من أمواله لجمعها وشرائها، فكان يرسل أتباعه إلى البلدان المجاورة والبعيدة لإحرازها. وهكذا تجمَّع لديه ما لا يُحصى عددًا، ثم أوعز إلى الشهاب أحمد أن ينظمها طبقًا لمواضيعها في جناح خاص من قصره، فقام بمهمته خير قيام، حتى أصبحت تلك الخِزانة من أغنى المكتبات في البلاد الهندية[٧٧].

مكتبة إبراهيم بن معين الدهلوي: الشيخ إبراهيم بن معين بن عبد القادر الحسني الأيرجي الدهلوي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، من العلماء المشهورين في زمانه، وكان جمَّاعًا للكتب، جمع كثيرًا منها في كل علم وفن، وبذل جهده في تصحيحها وحل غوامضها، بحيث يكتفي الناظر بمطالعتها في تحقيق المقامات الدقيقة[٧٨].

مكتبة محمد طاهر الفتني الكجراتي: المحدث محمد طاهر الفتني الكجراتي

(ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، أسَّس مكتبة ضخمة، جمع فيها الكتب المهمة النادرة في العلوم المختلفة، وكان يستفيد منها طلاب العلم والعلماء، وظلَّت هذه المكتبة عامرةً مدة طويلة، ولكنها تبدَّدت وضاعت نتيجةً لإهمال أسرته[٧٩].

مكتبة فيضي بن مبارك: أبو الفيض فيضي بن مبارك بن خضر الناكوري (ت: ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م) الشاعر الطبيب، كان حريصًا على جمع الكتب النفيسة، وقد بذل في سبيل ذلك أموالًا طائلة، فجمع ثلاثمئة وأربعة آلاف من الكتب المصحَّحة النفيسة، وأكثرها كانت مكتوبة بأيدي مصنفيها، وبعضها كانت قريبة العهد من عصر التأليف[٨٠]. يقول صاحب منتخب التواريخ: «ترك هذا العالِم مكتبة كبيرة ضمَّت قرابة خمسة آلاف مجلد من النوادر في الشعر والطب والفلك والموسيقى والرياضيات والفلسفة والحديث والفقه، وقد نُقلت جميعها على إثر وفاته إلى البلاط بعد تصنيفها»[٨١]. ويقال إنه ترك عند موته أربعين ألف كتابٍ وسِتمئة كتاب من نفائس الكتب[٨٢].

مكتبة نذر محمد خان: وجاء ذِكر هذه المكتبة فيما أورده صاحب «نزهة الخواطر» من أن السلطان شاهجهان عزل الشيخ محمد محسن الحنفي الكشميري عن الصدارة، إذ إنه لما فتح بلاد بلخ وجد ديوان شعرٍ له في مكتبة نذر محمد خان أمير بلخ، وكان له فيه قصائد في مدح نذر محمد خان المذكور، فسخِط السلطان عليه وعزله عن الصدارة[٨٣].

مكتبة عبد الرحيم خان: الأمير صاحب السيف والقلم عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوي (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)، على الرغم من انشغاله بالقتال، حرَص على تكوين مكتبة ضخمة، «وكان لا يُعفي نفسه عن مطالعة الكتب، فإذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة أو نهضة رأيت الأجزاء في يده، وإذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خدامه يحاذونه وهو يطالعها ويغتسل»[٨٤]. ومما يدل على ضخامة المكتبة أنه كان يعمل بها خمسةٌ وتسعون من الموظفين، وكان معظم كتبها مكتوبًا بأيدي المؤلفين أنفسهم[٨٥].

مكتبة عبد القادر بن عبد الله العيدروس: الشيخ عبد القادر بن عبد الله العيدروس،

من مشاهير علماء الهند (ت١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)، وكانت لديه مكتبة قال عنها: وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة، وبالغت في طلبها من أقطار البلاد البعيدة مع ما صار إليَّ من كتب الوالد ﵀، فاجتمع عندي منها جملة عديدة(٨٦).

(٣) المكتبات العامة:

أما المكتبات العامة فلم تحفل بذكرها المصادر العربية، ويبدو أن عدد المكتبات العامة زاد في الدولة المغولية، لا سيما في العاصمة، وهو ما أدَّى إلى إنشاء قسم أو إدارة خاصة تهتم بشئون المكتبات العامة التي ترعاها الدولة(٨٧)، حتى خُصِّصَت مكتبة عامة للنساء فقط. فقد جاء في موسوعة تاريخ المكتبات أن السلطان جلال الدين أكبر أسَّس مدينة فاتح بور سيكري عاصمةً لإمبراطوريته في عام (٩٧٨هـ/١٥٧١م)، وأنشأ فيها مكتبة خاصة بالنساء(٨٨).

(٤) مكتبات المدارس:

كانت المساجد هي المدارس الأولى في الإسلام، وقد ظلَّت كذلك مدة ثلاثة قرون على الأقل، أما المدارس المستقلة في العالم الإسلامي، فقد ظهرت على استحياء في القرن الخامس الهجري(٨٩).

وفي الهند اهتم ملوك المسلمين وسلاطينهم بإنشاء المدارس ورعايتها وتوفير الأوقاف والمخصصات المالية للإنفاق عليها، وأول مدرسة وصلَنا خبرها تلك التي أمر ببنائها السلطان محمود الغزنوي سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م) أمام جامع غزنة، وأقطع على المسجد والمدرسة قرى كثيرة(٩٠)، ثم انتشرت المدارس بعد ذلك في ربوع الهند، وكان من أشهرها المدرسة الفيروزية التي أنشأها حاكم ولاية ملتان: ناصر الدين قباجة، وهي المدرسة التي عُيِّن العلامة «منهاج الدين أبو عمر عثمان الجوزجاني» مشرفًا ومديرًا عليها سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)(٩١). وكان هناك المدرسة الكبيرة بمدينة سيوستان، كما كانت مدرسةٌ في مدينة بهكر، بناها الشيخ نجم الدين بن محمد رفيع السندي (ت١١٦٠هـ/١٧٤٧م).

كما أنشأ السلطان محمد الغوري أول مدرسة في مدينة أجمير سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م). ومنذ هذا التاريخ عرفت الهند التعليم النظامي برعاية حكامها وسلاطينها.

كما جاء ذِكر ثلاث مدارس مشهورة في أرض كشمير، إحداها بناها السلطان قطب الدين الكشميري سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م)، والثانية بُنيت على يد السلطان زين العابدين الكشميري ببلاده، والثالثة أنشأها الأمير برهان الدين الملقب بفاضل خان في مدينة سرينكر، وذلك في عهد السلطان أورنك زيب عالمكير بن شاهجهان الدهلوي(٩٢).

وبجانب الاهتمام الكبير الذي أولاه الملوك والسلاطين لإنشاء المدارس ورعايتها، فإن معظم تلك المدارس لم يخلُ من مكتبة خاصة بها تحوي مصادر التعليم الأساسية، وهي كتب في فروع العلوم المختلفة. ومن مكتبات المدارس في الهند الإسلامية التي وصلنا ذِكرها:

مكتبة مدرسة غزنة: أمر السلطان محمود الغزنوي ببناء مدرسة كبيرة أمام جامع غزنة، وكانت مكتبتها تحوي آلاف الكتب النادرة التي لا توجد إلا في غزنة(٩٣). ويصف العتبي المكتبة بقوله: «تشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين، منقولة من خزائن الملوك السابقين، ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين»(٩٤).

مكتبة مدرسة عثمان بور: بنى هذه المدرسة الشيخ عثمان الحسيني الكجراتي (ت٨٦٣هـ/١٤٥٩م) في مدينة عثمان بور القريبة من مدينة أحمد آباد، وقد أعطاه محمد شاه الكجراتي الكتب النفيسة من الخزانة الشاهانية، فوقفها لطلبة العلم(٩٥)،كما أوقف عليها السلطان محمود بن محمد الكجراتي أراضي، وأهداها مجموعة كبيرة من كتبه، «وكان أكثر كتب السلطان تحت يده وفي مدرسته»(٩٦).

مكتبة مدرسة الوزير محمود كاوان: هو عماد الدين محمود بن محمد الكيلاني المشهور بمحمود كاوان (ت٨٨٦هـ/١٤٧٨م)، وزير الملك محمد بن همايون، كان عالمًا

كبيرًا بارعًا في العلوم، بنى في أرض الدكن مدرسة عظيمة في مدينة أحمد آباد بيدار سنة (٨٧٦هـ/١٤٦٩م)، وبها غرف للأساتذة والطلاب، وألحق بها مكتبة تحوي كثيرًا من الكتب النفيسة[٩٧]، وقيل إنه كان بالمكتبة خمسةٌ وثلاثون ألف مجلد في مختلِف صنوف المعرفة[٩٨].

مكتبة مدرسة محمد عادل شاه البيجابوري: وكانت المدرسة في مدينة بيجابور، وهي متخصصة في تدريس العلوم الدينية، ويُعطى الطلبة فيها الأغذية اللطيفة وراتبًا شهريًّا، كما يُعطَون الكتب من الخزانة الشاهانية[٩٩].

مكتبة مدرسة شاه آباد: بُنيت المدرسة بأمرٍ من الأمير المغولي أبي المظفر جلال الدين محمد شاه عالم الثاني بن عالمكير الثاني، وقد احتوت على مكتبة كبيرة متميزة[١٠٠].

(٥) مكتبات المساجد:

لم يقتصر دَور المسجد في الإسلام على العبادة فحسب، بل اتخذه المسلمون مكانًا للدراسة، فكانت تُعقد فيه حلقات المناظرة ومجالس العلم والدراسة. وقد ظهرت مكتبات المساجد منذ ذلك الحين، إذ جرت العادة أن يُلحَق بمعظم المساجد مكتبة تحوي مجموعات ضخمة من الكتب[١٠١].

انتشرت المساجد في بلاد الهند، وكانت تُعقد فيها حلقات الدرس والوعظ، ولهذا كانت معظم المساجد تحتضن المكتبات في العصور الإسلامية في الهند[١٠٢]. وصَمْتُ المصادر عن ذِكر هذا النوع من المكتبات، لا يعني أن المساجد كانت خالية من المصاحف والكتب بوصفها وسيلة للعبادة والدراسة، خصوصًا أن كثيرًا من هذه المساجد كانت تضم مدرسة؛ ومن أشهرِها: مسجد قوة الإسلام في دهلي، الذي أُنشِئَ سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في عهد أول سلاطين مماليك الهند «قطب الدين أيبك»، وتعهَّده السلاطين من بعده بالتوسعة، وكان يضم مدرسة عظيمة الشأن، هي مدرسة ضريح علاء الدين خلجي، وتم

ترميم المدرسة والضريح في عهد السلطان فيروزشاه[١٠٣]، والمسجد الجامع في دهلي الذي أنشأه السلطان شاهجهان سنة (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م)، كما بنى مسجد «تاج محل» عام (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) ليكون قبرًا لزوجته «ممتاز محل» التي تُوفِّيت في شبابها[١٠٤].

وكانت هذه المساجد مراكز تعليمية يُعقد فيها حلقات المناظرة ومجالس العلم والدراسة، ولذا توافرت فيها الكتب؛ إذ لا تقوم دراسة دون وجودها، ولكن -مع الأسف- قلَّما تذكرها المصادر والمراجع. ومنها ما قام به أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني الذي كان يرأس الوزارة في عهد السلطان محمود الغزنوي عام (٤٠١هـ/ ١٠٠٩م)، إذ قام ببناء مدرسة علمية في بلخ، وبنى بجوارها مسجدًا، وكان فيه الكثير من الكتب[١٠٥].

وارتبطت بالمساجد مكتبات الزوايا والخانقاوات[١٠٦]، فقد كان من عادة العلماء في هذا الزمان وَقْفُ كتبهم على المساجد والزوايا والخانقاوات. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة زاوية الشيخ نظام الدين أوليا الدهلوي (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، وهو من كبار العلماء والمتصوفين المشهورين بأرض الهند[١٠٧]، وقد أنشأ هذه المكتبة من خلال جمع التبرعات المالية، وكانت تحتوي مجموعة كبيرة من المخطوطات، وهي مفتوحة لعامة الناس[١٠٨]؛ ومكتبة خانقاه سرخيز من بلاد كجرات[١٠٩].

رابعًا: إدارة المكتبات وتنظيمها في الهند الإسلامية:

عرفت الهند الإسلامية أنواعًا عديدة من المكتبات، ولا شك في أن المسلمين هناك عملوا على توفير جميع أسس تقديم الخدمات لهذه المكتبات، مثل المبنى والتجهيزات والموارد المالية والبشرية والنُّظم الفنية، غير أن المعلومات التي أوردتها المصادر عن تلك الجوانب قليلة جدًّا؛ وسوف نُعوِّل على ما تم الوصول إليه من معلومات يسيرة لتكوين صورة تقريبية لما كانت عليه المكتبات في بلاد الهند.

المبنى والتجهيزات:

يُعَدُّ مبنى المكتبة وتجهيزاتها من أهم المقومات لتقديم الخدمات المكتبية، إذ لا

يمكن أن يتم العمل أو تُقدَّم الخدمة بدون مبنى وتجهيزات مناسبة. وليس لدينا سوى إشارات بسيطة عن مباني المكتبات في الهند الإسلامية، ولكن يبدو أنها كانت مُعَدَّة ومُهيَّأة بمواصفات تضمن لها تقديم الخدمة بسهولة، فضلًا عن راحة المستفيدين.

وكانت المكتبات الملكية يُخصَّص لها مبنى مستقل يمتاز بالاتساع والتهوية، فقد ذكر بعض المؤرخين أن همايون في مدة حكمه الثانية أصدر فرمانًا بتحويل «شير مندل» -وهي دار الضيافة- إلى مكتبته[١١٠]. والمؤكد أن هذه المكتبة كانت تقع في الطابق العلوي من القصر الملكي، لأن الخبر الذي تواتر في كثير من المصادر يذكر أن همايون مات عند نزوله من المكتبة[١١١]، ويذكر «جارات» (Garratt) أن مبنى المكتبة لا يزال قائمًا في دلهي[١١٢].

وقد تطورت مباني المكتبات في عهد الدولة المغولية، فكانت على درجة عالية من العظمة والجمال، وكانت تحتوي قدرًا كبيرًا من الزخرفة والنقوش على الجدران، أما الأرضية فكانت تُكسَى بالرخام الأخضر، وكانت الكتب تحمل بطاقات بعناوينها توضع في حافظات خشبية[١١٣].

أما مكتبات المدارس فلم تكن محتاجة إلى مبنى خاص، فقد كانت المكتبة عبارة عن قاعة لحفظ الكتب وقاعة للمطالعة، وقد ورد أن المدرسة التي أقامها الوزير محمود كاوان، اشتملت على مسجد ومكتبة وقاعة للمطالعة[١١٤]. وكانت كل مكتبة تشتمل على الأثاث والتجهيزات التي تساعد على المطالعة، من الفُرُش والبُسُط وأرفف الكتب وأدوات الكتابة التي يحتاج إليها الطلاب والمدرسون، فقد جاء في وصف مكتبة مدرسة غزنة أنها: «تشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين، منقولة من خزائن الملوك السابقين، ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين»[١١٥].

العاملون:

كانت المكتبات في العالم الإسلامي تدار بواسطة علماء لديهم خبرة ودراية واسعة بالكتب، والواقع أن جانبًا كبيرًا من أهمية المكتبات الإسلامية يعود إلى الرجال الذين تولَّوا القيام بمهامها وأمورها(١١٦).

ولقد أوردت المصادر ذِكر بعض العاملين في مكتبات الهند الإسلامية. وكان يُشترط فيمن يتولى إدارة المكتبات في الهند أن يكون من كبار العلماء، فقد كان أمين مكتبة السلطان جلال الدين الخلجي الشاعر المشهور أمير خسرو، وحَظِيَ لديه بمكانة عالية وتقدير كبير، وسمح له بارتداء زي الأمراء والنبلاء(١١٧). وكان المسئول عن مكتبة السلطان بابر أحد العلماء، ويدعى عبد الله كتابدار(١١٨). وقد ذكر المؤرخ «الكونت نوير» (Count Noer) أن الملك همايون عندما فرَّ من الهند صحِب معه كثيرًا من كتبه المختارة وأمينَ مكتبته «لالابك» ولقبه الرسمي «باذ بهادر»(١١٩). وشغل هذا المنصب أيضًا العلامة وزير ملك هرات، وكان يساعد الملك «بابر» مساعدة لها قيمتها في جميع أعماله الأدبية، وهذا الوزير كان أمينًا على مكتبة ضخمة تضم عددًا كبيرًا من الكتب القيمة التي عُنِيَ بجمعها ملك هرات(١٢٠).

ومن أشهر خَزَنة دُور الكتب في الهند الشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر البنارسي الهندي الحنفي (ت٩٣٩هـ/١٥٣٣م)، وكان من المقربين لدى داود وزير السلطان إسكندر شاه سلطان «دهلي»، فسلَّمه خزانة كتبه النفيسة وولَّاه إدارة شئونها، وقد تقلَّب عنده في عيش رغدٍ حتى مات(١٢١). وهناك الشيخ محمد صوفي الكجراتي (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٥م) أحد العلماء المتصوفين، تبحَّر في العلوم، وعكف على الدرس والإفادة، وأخذ عنه جمعٌ كثير من العلماء، وقد وظفه الأمير عبد الرحيم بن بيرم خان، وجعله ناظرًا على خزانة الكتب له(١٢٢). وهناك أيضًا الشيخ علي بن محمد المقيم، الخطاط المشهور الذي قدم إلى الهند في أيام شاهجهان بن جهانكير التيموري، فجعله مُعلِّمًا لولده عالمكير. ولما قام بالملك عالمكير جعله ناظرًا على كتبخانة(١٢٣). وكذلك الأمير هادي بن حاجي الأكبر

(ت١١١٤هـ/١٧٠٢م) الذي كان من الأمراء المشهورين بالفضل والذكاء، وقد قرَّبه محمد أعظم بن عالمكير، وصار معتمدًا لديه في مهمات الأمور، ولقب فضائل خان، كما استخدمه عالمكير بديوان الإنشاء، وجعله ناظرًا على خزانة الكتب. وكان بارعًا في كثير من العلوم والفنون، حلو الكلام فصيح المنطق حسن المحاضرة[١٢٤].

ومما يكشف عن أهمية منصب نظارة المكتبة الملكية في الدولة المغولية أنه يُشترط فيمن يتولاه أن يكون من العلماء ومن كبار رجال الدولة، ويُعيَّن من قِبل السلطان مباشرة. ومن الذين أُسند إليهم هذا المنصب الشيخ نعمة الله بن خواجه حبيب الله الهروي، وهو من المؤرخين الذين تمرَّسوا في الإدارة والسياسة في بلاط المغول، واشتغل مشرفًا على المكتبة الشاهانية (الملكية) التي كانت تُدار من قِبل الأمير خان خانان الجهانكيري[١٢٥]، كما تولَّى هذا المنصب محمد طاهر بن أحسن الله الكشميري (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، وهو من رجالات بلاط السلطان شاهجهان. وفي آخر أيام الملك شاهجهان وَلِيَ نِظارة الكتب الشاهانية (الملكية)، فاستقل بها مدة، ورتَّب له عالمكير بن شاهجهان أربعة وعشرين ألفًا من النقود في كل سنة[١٢٦]، وكانت مهام وظيفته «صيانة ما في خزانة الكتب الشاهانية من الكتب وغيرها والقيام عليها»[١٢٧].

وقد تطورت المكتبات في عهد الدولة المغولية، فوصلت إلى درجة عالية من الرُّقي في تقديم الخدمات للمترددين عليها، وكانت تُدار المكتبة بواسطة عدة موظفين تتنوع مسئولياتهم بين تنظيف المكتبة وترتيبها، وتصليح ما يتلف من الكتب، أما مدير المكتبة فكان يُعَيَّن من قِبل السلطان مباشرة[١٢٨].

المجموعات:

من المؤكد أن مجموعات المكتبات تتفاوت تبعًا لحجم المكتبة ونوعها، ومقدار الوقف عليها، واهتمام الملوك أو السلاطين بها. وقد ضنَّت علينا المصادر بإيراد معلومات تفصيلية عن مجموعات المكتبات في الهند الإسلامية، فنجد بعضها قد قُدِّر حجم

مجموعاتها بالأرقام؛ فمكتبة السلطان جلال الدين أكبر احتوت حوالي أربعة وعشرين ألف مجلد ضخم في شتى المعارف والعلوم. ويُذكر أن مكتبة مدرسة الوزير محمود كاوان ضمَّت خمسةً وثلاثين ألفَ مجلد(١٢٩). أما مكتبة الشيخ فيضي بن المبارك، فقد اشتملت على قرابة خمسة آلاف من النوادر(١٣٠).

واكتفت معظم المصادر بإيراد صفات عامة وغير دقيقة عن مجموعات المكتبات مثل: كبيرة، نفيسة... وغيرها من الصفات التي تدل على التباهي بكثرة الكتب وندرتها.

أما كيفية تزويد المكتبات الهندية بالكتب، فقد تعددت مصادر التزويد في المكتبات، ويمكن القول بأنها اعتمدت على النَّسخ والشراء والوقف بصفة أساسية في تنمية مجموعاتها، فضلًا عن جلب الكتب من خارج الهند، فقد كثُر انتساخ الكتب وبيعها في الأسواق. ومما ذكره صاحب نزهة الخواطر أن الفقيه محمد بن أحمد النهروالي (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م) كان عظيم الجاه عند الأتراك، فلا يحج أحدٌ من كبرائهم إلا وهو الذي يطوف به، ولا يرتضون بغيره، وكانوا يعطونه العطاء الواسع، فكان يشتري بما يُحصِّله منهم نفائس الكتب، ويبذلها لمن يحتاجها، واجتمع عنده ما لم يجتمع عند غيره(١٣١).

وكان العلماء وأصحاب المكتبات يسمحون لتلاميذهم بنسخ الكتب من مكتباتهم؛ ومنهم الشيخ عبد العزيز بن ولي الله العمري الدهلوي الذي سمح للشيخ قطب الهدى بن محمد الحسني الحسيني النقشبندي البريلوي باستنساخ الكتب النفيسة من خزانته(١٣٢).

وكان يعمل بالمكتبة الملكية في عهد الدولة المغولية عددٌ من النُّسَّاخ والرسامين للقيام بنسخ الكتب وزخرفتها؛ فالوزير أبو الفضل يذكر في كتابه «أكبر نامه» عن الإمبراطور «جلال الدين أكبر» اهتمامه بنسخ المخطوطات المزوقة، إذ أقام مكتبة ضخمة عمل بها العديد من النساخ والرسامين المهرة، وكان لهم مكانة خاصة عند الإمبراطور «أكبر»، ومنهم: مرسيد علي، وخواجه عبد الصمد (شيرين قلم)، اللذان برعا في هذا الفن إلى درجة كبيرة جدًّا(١٣٣).

وعندما حاول سليم جهانكير ابن السلطان «جلال الدين أكبر» إفساد علاقة أبيه بأبي الفضل بن المبارك، قام بمداهمة بيت أبي الفضل في غيابه، وفتَّشه فوجد فيه أربعين كاتبًا ينسخون القرآن الكريم ملحقًا به تفسيرًا لأبي الفضل، فأمرهم أن يأتوا معه وأحضرهم أمام والده وقال له: إن أبا الفضل يخدعنا، ويظهر أمامنا بوجهٍ وهو من خلفنا بوجه آخر[١٣٤]. وكان غرض جهانكير من هذه المداهمة إيجاد ما يفسد علاقة السلطان بأبي الفضل، فلم يجد غير النُّسَّاخ الذين ينسخون دون علم السلطان، ويبدو أنه لم يُفلح في مسعاه، بدليل عدم تأثُّر علاقتهما.

ويُعَدُّ وقف الكتب وحبسها على المكتبات من أهم طرق تزويد المكتبات، وبخاصةٍ المكتبات العامة والمكتبات الملحقة بالمدارس والمساجد. ومن العلماء الذين وقفوا كتبهم على أهل العلم الشيخ محمد أفضل السيالكوتي الدهلوي (ت١١٤٦هـ/١٧٣٤م) أحد العلماء المشهورين في الحديث، كان يشتري الكتب النافعة ويُوقفها على طلبة العلم، وقال إنه قد حصل له مرة خمسة عشر ألفًا من النقود فاشترى بها الكتب وجعلها موقوفة في سبيل الله[١٣٥]. والشيخ محمد بن أبي محمد الجائسي الذي كان قاضيًا ببلدة مرشد آباد، وكان حريصًا على جمع الكتب النفيسة، وبنى لها دارًا واسعة، وأوقفها على طلبة العلم[١٣٦].

وحرَص كثير من علماء الهند على جلب الكتب المفيدة من بلدان العالم الإسلامي، وتم الاعتماد على هذا المصدر في تزويد بعض المكتبات، ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبد القادر بن عبد الله العيدروس (ت١٠٣٨هـ/١٦٢٨م) من أنه استطاع تكوين مكتبة خاصة جلب أغلبها من خارج الهند: «وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة، وبالغت في طلبها من أقطار البلاد البعيدة، مع ما صار إليَّ من كتب الوالد ﵀، فاجتمع عندي منها جملة عديدة»[١٣٧].

ولم يقتصر الأمر على العلماء، فمن الثابت تاريخيًّا أن الملك «بابر» جلب معه إلى الهند

كل ما استطاع جمعه من مخطوطات مكتبة أجداده التيموريين، وهي تضم مخطوطات نادرة وقيِّمة احتفظ بها في مكتبته، وما زال بعضها موجودًا إلى الآن ومختومًا بخاتمه[١٣٨].

وكان علماء الهند يقومون بنسخ عشرات النُّسَخ من الكتب المؤلفة في دمشق وبغداد والقاهرة، وتوزيعها على المدارس والمساجد ودور العلم في الهند، تيسيرًا على التلاميذ في تحصيلهم العلمي[١٣٩]. فقد ذكر الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في كتابه «زاد المتقين في سلوك طريق اليقين» ترجمةً للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانبوري (ت٩٧٥هـ/١٥٦٨م)، جاء فيها أنه: كان لديه رغبة جامحة في جمع الكتب في أثناء وجوده بمكة، وكان دائمًا يشغل نفسه بالبحث عن الكتب القيِّمة وشرائها، وكان يدفع ثمنًا كبيرًا ليحصل على نسخة مكتوبة بخط جيد، وكان يطلب نُسَخًا لكتب نادرة في الحديث والتصوف، ويوظِّف الطلبة والنساخين لنسخها، وكان يرسلها إلى الهند مجانًا لمن يُهِمُّه الأمر من الباحثين والدارسين[١٤٠]. ويشير هذا النص بوضوح إلى أن عددًا غير قليل من علماء الهند كانوا يبذلون أموالهم في الحصول على الكتب من خارج الهند عن طريق الشراء أو النسخ، ويرسلونها إلى طلاب العلم في الهند.

إعداد المجموعات وتنظيمها:

عمِل مسلمو الهند على تزويد مكتباتهم بكل ما يقع تحت أيديهم من كتب، مما كان سببًا في تضخُّم مجموعاتها، ولم يكن بُدٌّ من تنظيمها بطريقةٍ ما، لكي يكون الوصول إليها سهلًا. ومع أن هناك صمتًا شديدًا عن تنظيم المكتبات في الهند الإسلامية، فإن من المؤكد أن المكتبات في الهند كان لديها طُرُق معيَّنة لترتيب مجموعاتها وتنظيمها، وبخاصةٍ المكتبات ذات الأعداد الضخمة، وكانت تبدأ عملية إعداد المجموعات وتنظيمها بتسجيل ملكيتها وإثباتها. ويؤكد ذلك بعض مخطوطات المكتبة الملكية لسلاطين المغول التي عُثر عليها حديثًا، وهي نُسَخ مخطوطة «أكبر نامه»، ويظهر عليها عدد من الأختام الملكية والتوقيعات والملاحظات وتواريخ الإيداع بالمكتبة الملكية على الصفحة الأولى

والأخيرة من المخطوط، وأهمها توقيع إدخالٍ للمكتبة الملكية بخط جهانكير نفسه الذي كان مهتمًّا بأمر المكتبة في عهد أبيه السلطان، ونصه على النحو الآتي:

الله أكبر

في الخامس من أزار في السنة (١)، أودع الكتاب خانة كتبه

نور الدين جهانكير بن أكبر باد شاه سنة (١٠١٤)[١٤١]

أما تنظيم المجموعات، فقد وصلنا عن مكتبة الملك «أكبر» أنها كانت مقسَّمة عدة أقسام، قسم يحتفظ فيه بالكتب في داخل قسم الحريم، وقسم يُحتفظ به خارجه، وقد رُتِّبت هذه الأقسام بحسب قيمة الكتب ومنزلة الموضوعات التي كُتبت فيها، فنجد لكل من كتب العربية والفارسية واليونانية والكشميرية قسمًا مخصوصًا بها؛ وكذلك خُصِّص لكتب الشعر مكان، ولكتب النثر مكان آخر[١٤٢]. وجاء في منتخب التواريخ للبدايوني عن مكتبة فيضي بن المبارك: «ترك من بعده مكتبة كبيرة ضمَّت قرابة خمسة آلاف مجلد من النوادر، وقد نُقلت جميعها على إثر وفاته إلى البلاط بعد تصنيفها»[١٤٣].

ويُستفاد من النصوص السابقة أن مسلمي الهند اعتنَوا بتنظيم مجموعات المكتبات وتصنيفها إلى فئات موضوعية، وربما اعتمدوا في ذلك على أحد التصانيف المعروفة في وقتها، غير أن المصادر لم تُمِدَّنا بتفاصيل وافية حولها.

خامسًا: خدمات المكتبات ودورها العلمي:

إن المبرر الأساسي لوجود المكتبات هو تقديم الخدمة، وجَعْل الكتب في متناول القراء، فالمكتبات في الهند الإسلامية -بوصفها مؤسسات ثقافية تعليمية- قامت بدور فعَّال في الحياة الفكرية ونشر المعرفة بين أفراد المجتمع، ولم تكن مجرد مخازن ومستودعات للكتب فقط، وإنما كانت مراكز إشعاع ثقافي بما تُقدِّمه من خدمات المطالعة والنسخ. وهناك العديد من النصوص التي تؤكد أن المثقفين وطلاب العلم كانوا يترددون عليها

بقصد الإفادة منها. فالشيخ جندن المندسوري (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) أحد رجال الطريقة الجشتية، كان يجمع الكتب النفيسة ويهبها من لا يقدر عليها من المحصِّلين[١٤٤]، ويبدو أنه كان لديه مكتبة يحفظ فيها هذه الكتب ويهبها بلا ثمن لطلاب العلم غير القادرين.

وكان للمكتبات الخاصة دورٌ مهم في تثقيف أصحابها، إذ ساعدتهم في التأليف والتصنيف، كما أنها كانت مفتوحة أمام طلاب العلم للاستفادة منها، فلم تكن مقصورة على استخدام أصحابها فقط. ومن هذه المكتبات: مكتبة أحمد بن محمد المنصوري، ومكتبة محمد طاهر الفتني الكجراتي.

وأفردت المكتبات المدرسية قاعةً للمطالعة ليستفيد بها أهل تلك المدرسة من الأساتذة والشيوخ وطلاب العلم، كما في مكتبة مدرسة الوزير محمود كاوان التي اشتملت على مسجد ومكتبة وقاعة للمطالعة[١٤٥]. وكانت مكتبة مدرسة غزنة ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين[١٤٦]، وكانت المكتبات الملحقة بالمساجد مفتوحةً لعامة الناس.

أما المكتبات الملكية فقد كان يُخصَّص فيها قاعة لمطالعة الملك والعلماء المقربين منه؛ فالسلطان عالمكير (ت١١١٨هـ/١٧٠٧م) كان يذهب إلى «خلوت خانه» ويشتغل بنسخ الكتب ومطالعتها[١٤٧]، وذُكر أن السلطان جلال الدين أكبر كان يطالع الكتب ويستمع إليها في قاعة ملحقَة بالمكتبة مخصصة للقراءة: «فيُحضِر العلماء بعض الكتب القيمة كل يوم ويقرءونها لجلالته، وهو يستمع إليها، وعندما تنتهي قراءة اليوم يُعلِّم جلالته في الصفحة بقلمه الخاص، ويمنح القارئ من النقود الذهبية أو الفضية جائزة يختلف قدرها باختلاف عدد الصفحات التي قرأها، وقلَّما نجد من الكتب الهامة كتابًا إلا وقد تمت قراءته أمام جلالة الإمبراطور في رَدْهته الخاصة للقراءة»[١٤٨].

وهكذا يتضح أنه كان للمكتبات في الهند الإسلامية دور عظيم في نشر العلوم والمعارف، إذ ساهمت في تنشيط الحركة العلمية، وترجمة كتب الثقافات الأخرى وعلومها، ومن ثَم

حِفظ هذا التراث وإيصاله إلى الأجيال القادمة. ولعل ما قام به المسلمون في الهند من نهضة مكتبية، كان نهضة إسلامية خالصة لم تكن تُتاح لولا وجود الإسلام، لأن المكتبات في الهند قبل الفتح الإسلامي كانت متواضعة، وقد اقتصرت على مكتبات معابد الديانات المختلفة، وكانت ذات تأثير محدود حالَ دون قيامها بدورها.

سادسًا: مصائر الكتب والمكتبات الهندية:

على الرغم من النهضة المكتبية في بلاد الهند في خلال عصورها الإسلامية، فقد تعرضت كثيرٌ من المكتبات لمصائب وكوارث، لارتباط مصير المكتبات بمصير الدولة نفسها، فحينما كانت الدولة مستقرة ازدهرت المكتبات، وحينما انتشرت الفتن والاضطرابات الداخلية تدهورت أوضاع المكتبات وتعرَّضت للمخاطر والكوارث. وقد تنوعت أسباب زوال المكتبات على النحو الآتي:

الفتن والاضطرابات الداخلية:

أدَّت الفتن والاضطرابات الداخلية إلى زوال كثيرٍ من الكتب والمكتبات في الهند الإسلامية، فقد كانت نهاية الدولة الغزنوية على أيدي الغور سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، وعندما دخل الغور مدينة غزنة خربوها وأحرقوا معالمها، ومن أشهرها مكتبة غزنة[١٤٩]. وفي نهاية حكم الدولة الخلجية سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢١م) قام ناصر الدين خسرو خان الذي تحول عن الهندوسية إلى الإسلام بتقريب الهندوس منه، فعاثوا في الأرض فسادًا، ونكَّلوا بكل ما هو إسلامي، فدمَّروا كتب المدارس، واقتحموا المساجد، ومزَّقوا المصاحف، واتخذوا من المصاحف كراسيَّ يجلسون عليها، ووضعوا الأصنام في المساجد[١٥٠].

غَرَق الكتب:

يبدو أن كثيرًا من الكتب تعرَّضت لحوادث الغرق، ويؤكد ذلك ما ذُكر عن الشيخ حيدر بن مبين بن المحب الأنصاري اللكهنوي (ت١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) أحد الفقهاء الحنفية

عند عودته من مكة وركوب الفُلْك، أنه حين بعد عن جدة زهاء خمسة أميال أو ستة، غرِق الفُلْك، وغرِق عشرون رجلًا من أصحابه، وغرِق ما كان معه من الكتب النفيسة[١٥١].

حرق الكتب المخالفة للمذهب:

شهدت الهند عدة حوادث أُحرقت فيها كتب المخالفين تعصبًا عليهم أو انتصارًا لطائفة أو مذهب، ومن هذه الحوادث ما قام به السلطان محمود الغزنوي لمَّا تمكن من فتح بلاد الري (طهران حاليًّا) سنة (٤٠٩هـ/١٠١٩م)؛ إذ أحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم[١٥٢]. وفي عهد الملك «فيروز تغلق» ظهر التعصب المذهبي، واضطُهِد الشيعة، فقد ذكر في كتابه «فتوحات فيروز شاهي»: «شرعت الروافض في نشر عقائدها الباطلة ودعوة الناس إليها، واستعانوا في مهمتهم الواهية هذه بتأليف كتب ورسائل... فأخذناهم بأعمالهم المنكرة، وعاقبناهم عقابًا، وأمرنا بإحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسمع، حتى انعدمت هذه الطائفة عن بكرة أبيها»[١٥٣].

الحروب الخارجية:

هي الحروب التي خاضها بعض ملوك الهند لتوسيع أملاكهم وصدِّ هجمات جيرانهم، فقد كان من عادة بعض الملوك اصطحاب الكتب في أثناء القتال، مما أدى إلى ضياع كثيرٍ منها، ومن ذلك ما حدث للملك همايون بعد هزيمته على يد الملك شير شاه السوري، فقد ذكر أبو الفضل «أن كثيرًا من الكتب النادرة التي حملها معه همايون قد ضاعت وفُقدت»[١٥٤]. ولما ضعُفت الدولة المغولية مرَّت بكوارث سياسية، منها غزو نادر شاه أفشار[١٥٥] للهند سنة (١١٥١هـ/١٧٣٩م)، إذ اقتحم دهلي وخرَّبها تخريبًا تامًّا، كما دمَّر المكتبة الملكية ونهبها، وحملها مع غنائم أخرى إلى عاصمته في مدينة مشهد في إيران عام (١١٥٢هـ/١٧٣٩م)[١٥٦]، وكانت هذه المكتبة تضم مجموعة كبيرة من المخطوطات المزخرفة التي لا مثيل لها، ومنها نُسَخ مخطوطة «أكبر نامه».

الإنجليز ونهب المكتبات الهندية:

بسط الإنجليز سيطرتهم على الهند من خلال شركة الهند الشرقية، وحاولوا السيطرة على أجزاء الهند، واستولوا على كثيرٍ من الأملاك، ونهبوا المكتبات؛ ومنها مكتبة السلطان تيبو (ت١٢١٣هـ/١٧٩٩م) آخر ملوك المسلمين في مدينة ميسور، وكان محبًّا للعلم، ولديه مكتبة قيِّمة ضمَّت كتبًا في مختلف الموضوعات، وكان قد قاوم وجود الإنجليز على أرض الهند، وقاتلهم حتى استشهد، فاستولى الإنجليز على المكتبة، ونهبوا كتبها ودمروها بلا رحمة، وأرسلوا بعضها إلى لندن[١٥٧]، واستقرت في المكتبة البودلية في أكسفورد، وقد قام تشارلز ستيوارت بإعداد فهرس لها عام (١٨٠٩م)[١٥٨]. ومن أهم كتبها مصحف السلطان تيبو، مخطوط رقم (٧٩٣) وعدد أوراقه (٣٤٤) ورقة، وأتم نَسْخ المصحف علاء الدين محمد بن محمود السلجوقي سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)[١٥٩].

وبعد فشل ثورة (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) وبداية الاستعمار البريطاني للهند، قام الإنجليز بتخريب كل ما وقع تحت أيديهم وتدميره، وفي ذلك يقول «جارات» (Garratt): إن الدمار الذي قام به الإنجليز بعد الثورة أتى على الكثير من الكنوز الأدبية، ودمر آلاف الكتب، وبعضها تم بيعه بسعر رخيص جدًّا، وكما تم نقل كثيرٍ من الكتب إلى الغرب، وهي لا تزال محفوظة في مكتبات أوربا، وبعضها يحمل أختام وتوقيعات الملوك المسلمين والنبلاء الذين كانوا يمتلكون هذه الكتب القديمة[١٦٠]. وذكر المؤرخون أن كثيرًا من مكتبات بلاد الهند لم يبقَ منها أثر، لأنها أُحرقت أو نُهبت، والقليل الذي بقي من كتب الهند بِيع بثمنٍ بخس[١٦١].

وبعد أن بسط الإنجليز سيطرتهم الكاملة على الهند بمشاركة الهندوس، شرعوا في طمس الهوية الإسلامية، فصادروا الأملاك والأراضي والأوقاف، وهدموا المساجد والجوامع، واستولوا على كثيرٍ من الكتب والمخطوطات العربية والفارسية والأردية، ونقلوها بطريقة غير شرعية إلى أوربا[١٦٢]، ومما استولوا عليه نسخة من مخطوط «أكبر نامه» التي انتهى بها المطاف إلى متحف فيكتوريا وألبرت، إذ اشتراها من أرملة الجنرال

جون كلارك سنة (١٨٩٦م) الذي خدم في الهند بصفته مفوضًا عسكريًّا في مدينة أوده[١٦٣].

مصير المجموعات الباقية:

بالرغم مما تقدم ذِكره من مصائب ونكبات مُنِيت بها الكتب والمكتبات في بلاد الهند الإسلامية، فقد نجا بعضها. ويمكن التعرف على مصير ما تبقى من التراث الفكرى الإسلامي في الهند، ويُقصد به المخطوطات الإسلامية في الهند المكتوبة باللغتين العربية والفارسية. وقد قام الإنجليز بتهجير أعداد ضخمة من المخطوطات الهندية إلى أوربا، والبقية الباقية من هذه المخطوطات ما زالت موجودة في الهند، فقد ذكر البعض أن جمهورية الهند الحالية تحتضن حوالي مئة وخمسين ألف مخطوطة، منها حوالي (٤٠٪) باللغة العربية، أي ما يزيد على خمسة وخمسين ألف مخطوط عربي[١٦٤]، في حين أن هناك من يُقدِّر عدد المخطوطات في مكتبات الهند وحدها -دون باكستان وبنجلادش- بما يقرب من مئة ألف مخطوط باللغة العربية[١٦٥].

وهكذا فإن ما تبقى من التراث العربي الإسلامي المخطوط قد آل إلى المكتبات ومراكز الأبحاث المنتشرة في مختلف أنحاء الهند، مثل: مكتبة الجمعية الآسيوية بالبنغال، ومكتبة كلكتا الوطنية، ومكتبة خدا بخش الشرقية العامة، ومكتبة شبلي النعماني، ومكتبة مولانا آزاد بجامعة عليكرة الإسلامية، ومكتبة معهد آزاد للأبحاث الشرقية، ومكتبة رضا في رامبور، ومكتبة معهد الدراسات الإسلامية بنيودلهي، ومكتبة جامعة عثمانية ومتحف سالار جنك بحيدر آباد، ومكتبة المخطوطات الشرقية وغيرها. وهذه المؤسسات تحتوي على مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية.

خاتمة:

تبيَّن من خلال هذه الدراسة أن بلاد الهند إبَّان الحكم الإسلامي شهدت نهضة مكتبية واسعة، وكان لدى مسلمي الهند -حكامًا ومحكومين- شغفٌ شديد بجمع الكتب

وتكوين المكتبات بأنواعها المختلفة، فانتشرت المكتبات الملكية والخاصة والمكتبات العامة والملحقة بالمساجد والمدارس، وحَظِيت المكتبات في الهند بالكثير من الاهتمام والرعاية، وقد حرَص المسلمون على تزويدها بالكتب القيِّمة، وتوفير المخصصات المالية لذلك، كما أنهم اعتنوا بإدارة تلك المكتبات وتنظيمها تنظيمًا دقيقًا ليسهل الاستفادة من مجموعاتها، وهو ما جعل للمكتبات دورها المتميز في المجتمع الهندي في نشر العلم والمعرفة.

غير أن هذه المكتبات تعرضت لنكبات وكوارث عديدة، فنُهبت محتوياتها، وأُحرق الكثير من كتبها، وتعرض ما بقي منها للتهجير إلى أوربا، والقليل منها احتضنته المكتبات العامة في الهند، ولعل كل ذلك يُوجب علينا الاهتمام بهذا التراث الإسلامي، والمحافظة عليه، والعمل على تحقيقه ونشره والاستفادة منه.

***

الهوامش

(1) Nadvi, S. A. Zafar, "Libraries during the Muslim Rule in India" in Islamic Culture, vol. 19 (1945: 329-347), vol. 20 (January 1946: 3-20).

(2) Datta, Bimal Kumar Libraries and Librarianship of Ancient and Medieval India. Delhi: Atma Ram, 1970.

(٣) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مكتبة الآداب، (١٩٥٧)، ص٣.

(٤) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (١٩٨١)، ص١٨.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، المكتبة العصرية، (٢٠٠٥)، ج١، ص٧١.

(٦) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (٢٠٠١)، ص٩.

(٧) عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص١٣١.

(٨) المرجع السابق، ص١١٣.

(٩) عصام الدين عبد الرءوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، القاهرة، عالم الكتب، (١٩٨٠)، ص٤٦.

(١٠) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، ص١٢٢.

(١١) المرجع السابق، ج١، ص١٦٨.

(١٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٠٥.

(١٣) أحمد محمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية: دراسات تاريخية، إربد، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، (٢٠٠٦)، ص٢٨، ٢٩.

(١٤) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص١٩. المغول الذين قاموا بغزو مدمِّر للمشرق الإسلامي، تحولوا إلى الإسلام ودخلوا فيه أفواجًا، وكوَّنوا دولةً لهم في الهند.

(١٥) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٥١٢.

(١٦) عصام الدين عبد الرءوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٢٣٦.

(١٧) صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، (٢٠١٦)، ص٤٦٩.

(١٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٩٩٧)، ج٧، ص٧٣٤.

(١٩) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٣٣٦.

(٢٠) المرجع السابق، ص٣٦٦.

(٢١) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، بيروت، دار ابن حزم، (١٩٩٩)، ج٢، ص١٨٨. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٨٤.

(٢٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: محمد زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (١٩٤٥)، ص٥١٠.

(٢٣) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٤٠١. جارات، ج. ت، تراث الهند، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، (٢٠٠٥)، ص٢٠٦.

(٢٤) ستيبتشفيتش، الكسندر، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد الأرناءوط. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، (١٩٩٣)، ج٢، ص٢٨. كانت الهند قبل معرفة الورق تستخدم سعف النخيل ولحاء الأشجار للكتابة عليها، وهي مواد سريعة التلف ولا تصمد زمنًا طويلًا، لذلك فمن النادر أن نجد نُسَخًا من هذه الكتب تعود إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي.

(٢٥) أحمد الجوارنة، دور الدول الإسلامية في الهند في رعاية وتطور التعليم في مدينة دلهي، ص١٧١، ١٧٨.

(٢٦) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر، (١٩٨١)، ج٢، ص٩٧٤.

(٢٧) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٢، ص٢٠١.

(٢٨) المرجع السابق، ج٤، ص٤٢٣.

(٢٩) المرجع السابق، ج٤، ص٤٢٢.

(٣٠) المرجع السابق، ج٤، ص٤٤٥.

(٣١) المرجع السابق، ج٥، ص٦٥٦.

(٣٢) المرجع السابق، ج٥، ص٦٣١.

(٣٣) المرجع السابق، ج٥، ص٥٦٢.

(٣٤) المرجع السابق، ج٦، ص٨٥٠.

(٣٥) المرجع السابق، ج٦، ص٨٤٦.

(٣٦) المرجع السابق، ج٦، ص٨٥١.

(٣٧) المرجع السابق، ج٥، ص٥٧٩.

(٣٨) المرجع السابق، ج٥، ص٦٣٧.

(٣٩) المرجع السابق، ج٥، ص٦٣٥.

(٤٠) المرجع السابق، ج١، ص٦٥.

(٤١) المرجع السابق،ج١، ص١٢٧. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٥٠.

(٤٢) المرجع السابق، ج٤، ص٤٤٧.

(٤٣) المرجع السابق، ج٤، ص٤٣١، ٤٣٢.

(٤٤) المرجع السابق، ج٥، ص٥٨٧.

(٤٥) الهروي، نظام الدين أحمد بن بخشي، المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني (طبقات أكبري)، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، القاهرة، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، (١٩٥٩)، ج١، ص٢٩٣. محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص٣٣.

(٤٦) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٦، ص٧٤٠.

(٤٧) هيفاء شكري، مساهمة الهنديات في الدراسات العربية، إسلام ويب (٢٠١٦/١١/١٦): https://www.islamweb.net/ar/article/213685

(٤٨) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٦، ص٧٢٤.

(٤٩) صاحب عالم الأعظمي الندوي، وضع المخطوطات العربية في المكتبات الهندية، مكتبة أكاديمية شبلي النعماني نموذجًا، القاهرة، علم لإحياء التراث والخدمة الرقمية، (٢٠١٩)، ص١٤.

(٥٠) ستيبتشفيتش، الكسندر. تاريخ الكتاب، القسم الأول، ص٥٣.

(٥١) المرجع السابق، القسم الأول، ص٥١.

(٥٢) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٤٠٢.

(٥٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٩٩٦)، ص١٠٨.

(٥٤) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٩.

(٥٥) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج٧، ص٧١١. إيمان سعود خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ (٢٠٥-٦١٧هـ/ ٨٢٠-١٢٢٠م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (٢٠١٣)، ص٢١٧.

(٥٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٠٨. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج١، ص٧٦.

(٥٧) صهيب عالم، المخطوطات العربية ودور المكتبات الهندية في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي: في ندوة اللغة العربية في الهند، الرياض، مركز الملك عبد العزيز لخدمة

اللغة العربية، (٢٠١٤)، ص٢٢٢.

(58) Khurshidt, Anis. Growth of Libraries in India, p22.

(59) Nadvi, S. A. Zafar. Libraries during the Muslim Rule in India, vol 19 (1945), p330.

أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، ص٦٩. إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، جامعة الأنبار، كلية الآداب (٢٠١٤)، ص١٤٤.

(٦٠) التيموري، ظهير الدين محمد بابر، تاريخ بابر: بابرنامه (وقائع فرغانة - كابل - الهند)، نقلها إلى العربية: ماجدة مخلوف، القاهرة، دار الأفاق العربية، (٢٠١٤)، ص٤٩٣.

(٦١) المرجع السابق، ص٦٥٨.

(٦٢) المرجع السابق، ص٦١٦.

(٦٣) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص٥٧. محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، بيروت، دار النفائس، (٢٠٠٧)، ص٢١٠.

(٦٤) الهروي، نظام الدين أحمد بن بخشي، طبقات أكبري، ج١، ص٣٣٥. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٦٠. محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص٢٠٩.

(٦٥) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، ص١٢٨.

(٦٦) مدينة أجرا جنوب دهلي بحوالي (٤٠٠) كيلومتر، اتخذها الإمبراطور «أكبر» عاصمةً للدولة المغولية وبنى فيها قلعة حصينة عُرفت بـ«القلعة الحمراء»، لأنها مبنية بالحجارة الرملية الحمراء، وسماها «أكبر اباد». انظر: أحمد رجب، المعالم والآثار التاريخية والثقافية في الهند، الرباط، إيسيسكو، (٢٠١٧)، ص٧٢.

(67) Nadvi, S. A. Zafar. Libraries during the Muslim Rule in India, vol

19 (1945), p332.

(٦٨) محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، هولندا، أكاديمية الكوفة، (٢٠٠٦)، ص٧٠-٧٣. إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، ص١٤٥.

(٦٩) أحمد رجب، المعالم والآثار التاريخية والثقافية في الهند، ص١٩١. أحمد رجب، قلاع وحصون المدن الإسلامية في الهند، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (٢٠٠٩)، ص١٨٢.

(٧٠) جارات، ج. ت، تراث الهند، ص٢١٠.

(٧١) محمود الحسن الندوي، النساء المسلمات الشهيرات في الهند، ثقافة الهند، مج١٧، ع١، (١٩٦٦)، ص٣٥. محمد سيد كامل محمد، المرأة الهندية في عصر أباطرة المغول، مجلة كلية الآداب جامعة بنها، ع١٨، ج١، يناير (٢٠٠٨)، ص٢٦٧.

Nadvi, S. A. Zafar. Libraries during the Muslim Rule in India, vol 19 (1945), p336.

(٧٢) صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٧٠.

(٧٣) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٦، ص٧٢٤. محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص٢٦٩.

(٧٤) هيفاء شكري، مساهمة الهنديات في الدراسات العربية، إسلام ويب (٢٠١٦/١١/١٦):

https://www.islamweb.net/ar/article/213685

(٧٥) المنصورة: مدينة أقامها المسلمون في الهند منذ القرن الأول الهجري، ويرجع سبب تسميتها إلى الانتصارات التي حققها محمد بن القاسم الثقفي على حاكم السند. انظر: زينب مهدي رءوف، التخطيط العام لمدينة المنصورة في بلاد السند، مجلة كلية التربية الأساسية، مج ١٩، ع٨٠، (٢٠١٣)، ص٥٦١.

(٧٦) عبد الله محمد جمال الدين، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان والسند والبنجاب إلى آخر الحكم العربي، القاهرة، دار الصحوة، (١٩٩١)، ص١٦٠.

(٧٧) فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، بيروت، منشورات وزاة التربية

الوطنية والفنون الجميلة، (١٩٤٨)، مج٢، ص٦٩٦.

(٧٨) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٤، ص٢٩٨.

(٧٩) أبو ظفر الندوي، تاريخ كجرات الحضاري في عهد المسلمين، الهند، دار المصنفين، (١٩٦٢)، ص٢٢٣.

(٨٠) المرجع السابق، ج٥، ص٤٧٢. محمد مهدي حسن، أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام، ثقافة الهند، مج٦٦، ع٤، (٢٠١٥)، ص١٤٥.

(٨١) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، ص١٥٨. محمد مهدي حسن، أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام، ص١٤٦.

(٨٢) صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٧٠. يبدو أن هناك خطأً، والصواب أنها أربعة آلاف وستمئة (الباحث).

(٨٣) عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي، نزهة الخواطر، ج٥، ص٤٧٢.

بلخ: إحدى مدن خراسان الشهيرة، عرفها العرب باسم أم البلاد، وتقع شمال أفغانستان.

(٨٤) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٥، ٥٦١.

(٨٥) صهيب عالم، المخطوطات العربية ودور المكتبات الهندية في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي، ص٢٢٤.

(٨٦) عبد القادر بن عبد الله العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: حمد حالو، ومحمود الأرناءوط، وأكرم البوشيز، بيروت، دار صادر، (٢٠٠١)، ص٤٤٤.

(87) Khurshidt, Anis. Growth of Libraries in India. International Library Review, vol4, no1 (1972), p23.

(88) Wiegand, Wayne, and Donald Davis. Encyclopedia of Library History. Taylor and Francis, 2015, p271.

(٨٩) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط٤، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (١٩٧٣)، ص١١٣.

(٩٠) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٢.

(٩١) أحمد محمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٨٢.

(٩٢) الثقافة العربية في الهند، الرياض، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، (٢٠١٥)، ص٢٢.

(٩٣) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٢.

(٩٤) العتبي، محمد بن عبد الجبار، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، بيروت، دار الطليعة، (٢٠٠٤)، ص٤١٧.

(٩٥) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، الهند، دار عرفات، (٢٠٠١)، ص٣٦٧.

(٩٦) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٥٩. أحمد محمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٨٨.

(٩٧) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، ص٢٢٠. محمد عبد العظيم الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، القاهرة: شركة نوابغ الفكر، (٢٠٠٩)، ص٢٨٢.

Taher, Mohamed. Madrasa Libraries in India. International Library Review Vol21, 1989, p84.

(٩٨) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٨٠. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٢٩. صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٧٠.

(٩٩) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، ص٣٧٣.

(١٠٠) أحمد محمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٨٧.

(101) Sibai. Mosque Libraries: an historical study. London: Mansell. 1987, P3.

(١٠٢) صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٦٩.

(١٠٣) عطاء الرحمن قاسمي، المساجد التاريخية بدلهي، ترجمة: أحمد محمد أحمد عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، (٢٠١٢)، ص٥٦.

(١٠٤) حسين مؤنس، المساجد، ص٢٤٩-٢٥٣.

(١٠٥) محمد حسن العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، إربد، مؤسسة حمادة للخدمات، (١٩٩٧)، ص٢٥٩. إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ، ص٢١٦.

(١٠٦) الزوايا أو الخانقاه: مؤسسة دينية لأهل الصلاح والزهد، وكان لها دور تعليمي، وبها كثير من الكتب.

(١٠٧) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، (١٩٩٩)، ج٢، ص١٩٣. صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٦٩.

(108) Khurshidt, Anis. Growth of Libraries in India, p22.

(١٠٩) صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٧٠.

(١١٠) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص٥٨. محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص٢١٠.

(١١١) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٦٠. محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص٤١.

(١١٢) جارات، ج. ت، تراث الهند، ص٢١٠.

(١١٣) إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، ص١٤٥.

(١١٤) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٢٩.

(١١٥) العتبي، محمد بن عبد الجبار، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة، ص٤١٧.

(١١٦) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص١٥٢.

(117) Khurshidt, Anis, Growth of Libraries in India, p22.

(١١٨) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، ص٦٩. إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، ص١٤٤.

(١١٩) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص٥٧.

Khurshidt, Anis, Growth of Libraries in India, p23.

(١٢٠) جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص٤٠.

مدينة هرات (هراة) من أمهات مدن خراسان، وتقع بالقرب من فارس غرب أفغانستان.

(١٢١) ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، درر الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود حمد الفاخوري، ويحيى زكريا عبارة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، (١٩٧٢)، ج١، ص١٥٣-١٥٤. محمد راغب الطباخ الحلبي، إعلام النبهاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب، دار القلم العربي، (١٩٨٨)، ج٥، ص٤٥٨. فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، مج٢، ص٦٩٦.

(١٢٢) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٥، ص٥٤٤.

(١٢٣) المرجع السابق، ج٥، ص٥٩٢.

(١٢٤) المرجع السابق، ج٦، ص٨٦٥.

(١٢٥) أحمد محمد الجوارنة، المؤرخون وكتاب الوقائع الرسميون في دولة المغول المسلمين في الهند القرن السابع عشر الميلادي، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٨، ع ٤، (٢٠٠٢)، ص١٣٣٥.

(١٢٦) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٥، ص٦٣٨. أحمد محمد الجوارنة، المؤرخون وكتاب الوقائع الرسميون، ص١٣٣٩.

(١٢٧) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، ص٢٨٥.

(١٢٨) إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، ص١٤٥.

(١٢٩) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٨٠. عبد المنعم النمر،

تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٢٩. صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، ص٤٧٠.

(١٣٠) محمد مهدي حسن، أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام، ص١٤٦.

(١٣١) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٤، ص٤٠٥.

(١٣٢) المرجع السابق، ج٧، ص١٠٧٠.

(١٣٣) أحمد رجب، قلاع وحصون المدن الإسلامية في الهند، ص١١١.

(١٣٤) عبد الرحمن فتحي يونس عفق، جوانب الحضارة الإسلامية في بلاد الهند في عهد السلطان أكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م) من خلال تصاوير مخطوطات «أكبر نامه»، دراسة مقارنة مع المصادر التاريخية المعاصرة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة الأزهر بالمنصورة، (٢٠١٨)، ص٢٩.

(١٣٥) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٦، ص٨٠٦.

(١٣٦) المرجع السابق، ج٧، ١٠٨٠.

(١٣٧) عبد القادر بن عبد الله العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٤٤٤.

(١٣٨) جارت، ت، تراث الهند، ص٢٠٤.

(١٣٩) أحمد الجورانة، دور الدول الإسلامية في الهند في رعاية وتطور التعليم في مدينة دلهي، ص١٧٩.

(١٤٠) صاحب عالم الأعظمي الندوي، وضع المخطوطات العربية في المكتبات الهندية، ص١٠.

(١٤١) عبد الرحمن فتحي يونس عفق، جوانب الحضارة الإسلامية في بلاد الهند في عهد السلطان أكبر، ص٣٩.

(١٤٢) محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص٧٣. إنعام حميد شرموط الجنابي، إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند، ص١٤٥.

(١٤٣) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢،

ص١٥٨. محمد مهدي حسن، أبو الفيض فيضي وتفسيره سواطع الإلهام، ص١٤٦.

(١٤٤) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٢٧.

(١٤٥) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٢٩.

(١٤٦) العتبي، أبو النصر محمد بن عبد الجبار، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة، ص٤١٨.

(١٤٧) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٦، ص٧٤٠. محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص٢٤٨.

(١٤٨) محمد سعيد الطريحي، المرجع السابق، ص٧٤.

(١٤٩) إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ، ص٧٦.

(١٥٠) عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص١٦٧. محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٢٧٠.

(١٥١) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج٧، ص٩٥٩.

(١٥٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٧١١. إيمان بنت سعود خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ، ص٢١٧.

(١٥٣) محمد سعيد الطريحي، الشيعة في العصر المغولي، ص١٣١.

(١٥٤) صهيب عالم، المخطوطات العربية ودور المكتبات الهندية في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي، ص٢٢٤.

(١٥٥) مؤسس الأسرة الأفشارية التي حكمت إيران، كان قائدًا للجيش في عهد الشاه طهماسب الثاني، وأصبح شاه لإيران سنة (١١٤٨هـ/١٧٣٦م)، وقتله أحد ضباطه سنة (١١٦٠هـ/١٧٤٧م). انظر: حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية العصر القاجارية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، (٢٠٠٨)، مج٣، ص٨٧.

(١٥٦) عبد الرحمن فتحي يونس عفق، جوانب الحضارة الإسلامية في بلاد الهند في عهد

السلطان أكبر، ص٤٠، ٤١. محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص٣٤٩–٣٥٤.

Khurshidt, Anis, Growth of Libraries in India, p23

(157) Nadvi, S. A. Zafar. Libraries during the Muslim Rule in India, vol 20 (1946), p3.

(158) Ch. Stewart, A Descriptive Catalogue of the Oriental Library of the Late Tippoo Sultan of Mysore. London. Cambridge 1809.

(١٥٩) تصوير مصحف السلطان تيبو كاملًا، لكن كيف وصل إلى أكسفرد:

alkitabdar.com/bodleian_tipu_sultan

(١٦٠) جارات، ج. ت، تراث الهند، ص٢١٠.

(١٦١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (١٩٧٣)، مج٨، ص٧٥. فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، مج١، ص١٧٣.

(١٦٢) صاحب عالم الأعظمي الندوي، وضع المخطوطات العربية في المكتبات الهندية، ص١٧.

(١٦٣) عبد الرحمن فتحي يونس عفق، جوانب الحضارة الإسلامية في بلاد الهند في عهد السلطان أكبر، ص٤٠.

(١٦٤) الثقافة العربية في الهند، ص٥٥٦.

(١٦٥) صاحب عالم الأعظمي الندوي، وضع المخطوطات العربية في المكتبات الهندية، ص٩.

***